الشيخ عبد الكريم صالح اللامي

الإدراكات الملكوتية

الشيخ عبد الكريم صالح اللامي

الإدراكات الملكوتية

الشيخ عبد الكريم صالح اللامي

الإدراكات الملكوتية

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:info@dar-alamira.com

الادراكات الملكوتية

الإدراكات الملكوتية

بقلم الشيخ
عبد الكريم صالح اللامي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

[الانعام، الآية: ٧٥]

المقدمة

البحث في النفس بصورة عامة ليس بحثا جديداً بل قد يرجع إلى عهد الحضارة المصرية واليونانية والصينية والهندية من حيث الطابع الفلسفي للبحث، ثم تشعب البحث من حيث المنهج ومن حيث الفروع والأقسام خصوصا في القرون المتأخرة فإنه أصبح يشتمل على العديد من المناهج المختلفة الخاصة بدراسة العمليات العقلية والسلوك، ومع ذلك تبقى النفس الإنسانية لغزا عصيا على الحلول مهما تقدمت العلوم واكتملت العقول الإنسانية، فانهم لا يتعدى وقوفهم ساحل ذلك البحر المتلاطم لأسرار النفس، وليس هذا بعجيب فانها ابدع وأحسن مخلوقات الله تعالى كما يقول عز من قال: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1] فنشأة النفس هو وراء هذه النشاة المادية البدنية لذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾ وعند انشاء النفس قال الحق تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين، فدل ذلك على ان هذا المخلوق هو أحسن مخلوق خلقه الله تعالى فإنه لم يقل في أي مخلوق أخر ذلك، فهي اعجوبة من اعاجيب صنع الله تعالى بل هي اعضمها ويمكن ان يقال فيها كما قال الشاعر:

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر كليلاً

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

أنـــت حـــيـــرت ذوي الـــلـــب وبـــلـــبـــلـــت الـــعـــقـــولاً
كلما أقدم فكري ناكصاً يخبط في فـــيـــك شـــبـــرا فـــر مـــيـــلاً
عـــمـــيـــاء لا يـــهـــدي ســـبـــيـــلاً[١]

فالنفس لايحاط بكنهها وحقيقتها بل ادعى البعض ان معرفتها مستحيلة لذا علقت معرفة الحق عليها فقيل (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ونحن في هذا البحث نريد ان نتناول جدولا من جداول ذلك البحر المحيط، وهذا الجدول هو الحواس الخمسة الباطنية للنفس وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس التي هي وراء هذه الحواس الخمسة الظاهرية المستعملة للعين والاذن والأنف واللسان والخلايا الحسية في البدن، وتلك الحواس الباطنية عبر عنها أنها ملكوتية لانها لاتستعمل البدن المادي وآلآته ولا تحتاج إليه، بل في كثير من الأحيان لاتعمل الحواس الملكوتية إلا في حال تعطل الحواس الظاهرية.

وقد بحث عن هذه الحواس والقوى الإدراكية كثير من العلماء ولكن في ثنايا بحوثهم عن أمور أخرى من قبيل بحثهم عن النفس وقواها أو عن عالم الملكوت أو عن مراتب الكشف وما شاكل ذلك، ولم يسلط الضوء عليها بشكل جيد من جوانب متعددة، وحسب إطلاعي القاصر لم اجد كتابا أو رسالة أو بحثا تناول هذا الموضوع منفردا حسب المصادر المتوفرة لدي، لذا ارتأيت ان أقدم بعد التوكل على الله تعالى على هذه المحاولة للملمت اطراف الموضوع في بحث مستقل، وجعلته على أربعة فصول وخاتمة، تكلمت في الفصل الأول عن الإدراك والحس وشواهد من علم الساي والرؤى على وجود قوى وراء المدارك الحسية، ثم بينت ان حقيقة الإنسان

(١) ابن أبي الحديد.

هي الإدراك ببعض مراتبه، ثم بيان الحواس الباطنة، ومعنى القلب، وفي الفصل الثاني بينت عالم الملكوت وتجسم الأعمال، ثم كيفية ظهور وتمثل الحقائق، وحصول الرؤية القلبية القسرية، ثم بينت اخطاء الحواس الباطنة وفي الفصل الثالث العين الملكوتية في الآيات وفي الروايات، والاذن الملكوتية في الآيات والروايات، ثم كلام في باقي الحواس الملكوتية، وفي الفصل الرابع يشتمل على مراتب الإدراك، منها كلام في معنى الوحي وأقسامه، ثم ذكر مراتب غير الوحي، وبيان مقام قرب النوافل، ومقام قرب الفرائض، ثم نوع أخر من الإدراك ختمت به الفصل، وفي خاتمة الكتاب ذكرت كلام بعض العلماء في الحواس الباطنية الملكوتية وذكر بعض الإدراكات لبعض الصالحين، أسأل الله ان ينفع به الطالبين، وان يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وان يمن على هذا العبد بالمغفرة والقبول، إنه اكرم الأكرمين.

٢٨ شعبان ١٤٣٠

الفصل الأول

١ ـ كلام في الاحساس والإدراك

٢ ـ علم ما وراء النفس

٣ ـ مؤيدات منامية

٤ ـ حقيقة الإنسان

٥ ـ الحواس الباطنة

٦ ـ معنى القلب

كلام في الاحساس والأدراك

هناك خلاف بين العلماء هل ان الاحساس والإدراك هما شيء واحد أم ان إحدهما غير الاخر؟ أو هما وجهتان لشيء واحد؟

فسر الاحساس إنه ظاهرة نفسية متولدة عن تاثير إحدى الحواس بمؤثر ما، وبذلك فهو اداة اتصال بالعالم الخارجي ووسيلة من وسائل المعرفة عند الإنسان، فالاحساسات هي مجرد استجابات تحدث صوراً حسية حسب نوعية المؤثر لكنها لاتتضمن أي معنى لحقيقة الشيء الذي نحس به وعملية الاحساس تتوقف على وجود منبهات خارجية وهي كثيره متنوعة منها ما هو فيزيائي ومنها ما هو كيميائي.

وتتوقف على شروط فيسيولوجية التي هي الحواس والاعصاب الناقلة والمراكز العصبية، وأما الإدراك فهو عملية عقلية معقدة نتعرف بها على العالم الخارجي بواسطة الحواس، يعني بعدما يحصل الاحساس ياتي دور الإدراك، حيث تترجم الاحساسات إلى مدركات من خلال معرفتنا وخبرتنا، فإن رؤيتك للون الاخضر مثلاً هو مجرد احساس لكن فهمك لدلالته فهو إدراك، وانت هنا لجأت إلى معرفتك وخبرتك السابقه لإدراك معناه، هكذا الإدراك وضيفة نفسية معقدة وهي اسمى من الاحساس الذي يبقى مشتركا بين الإنسان والحيوان.فهناك علاقة بين الاحساس والإدراك وتقارب كبير، مما اثار لدى علماء النفس حول إمكان الفصل بينهما وعدمه بمعنى ان

الشعور بالمؤثر الخارجي والرد على هذا المؤثر بصورة متوافقة هل نعتبره احساسا أو إدراكا؟ أم انهما يشكلان ظاهره واحدة؟

علم النفس التقليدي يؤكد على ضرورة الفصل بين الاحساس والإدراك ويعتبر الإدراك ظاهره مستقلة عن الاحساس انطلاقا من ان احساس ظاهرة مرتبطة بالجسم فهو حادثة فسيولوجية ومعرفة بسيطة، أما الإدراك فهو مرتبط بالعقل أي عملية عقلية معقدة تستند إلى عوامل كاالتذكر والتخيل والذكاء وموجه إلى موضوع معين.

لكن إمكانية الفصل بين الاحساس والإدراك بشكل مطلق أمر غير ممكن باعتبار ان الإدراك يعتمد على الحواس لذا يقول الجرجاني الاحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس فإن كان الاحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات، وان كان للحس الباطن فهو الوجدانيات[١].

هذا بعض ماقيل في هذا الاحساس والإدراك.

ولكن أقول ليس دائماً الإدراك يتوقف على الاحساس، فإدراك النفس لذاتها وإدراكها لأحوالها وشؤنها لاتحتاج فيه إلى الاحساس، لأن النفس الإنسانية كما ان لها بعد مادي لها بعد مجرد عن المادة وماورائي.

فهي تحتاج إلى الحواس المادية لإدراك الأمور المادية، أما في إدراك الأمور غير المادية لاتحتاج إلى حواس كما في حال النوم وحصول الرؤى فإن جميع الحواس معطلة ولا توجد أية عوامل مادية مؤثرة في البدن، ومع ذلك يحصل كثير من الإدراكات، أو كما في حالات الكشف والشهود الباطني، والتجارب الحديثة في علم ماوراء النفس تعطي شواهد على

(١) التعريفات للجرجاني ج١ص٥.

ذلك، فإنه يحصل نوع من أنواع الإدراك من دون احتياج إلى حواس، صحيح ان رأس مال العلم قسم منه توفره الحواس في أول الأمر، بمعنى أنها توفر مواد خام لانتاج المعرفة، لكن بعض المواد الخام تؤخذ من النفس وأحوالها وهي العلوم الحضورية فيأخذ الذهن منها مفاهيم ذهنية ويصوغ منها أساسيات العلم فالحواس لها دور كبير في حصول العلم، ولكن ليس هي الطريق الوحيد لاستكشاف الحقائق.

هذا إذا قلنا ان هناك فرق بين الإدراك والاحساس وان احدهما غير الاخر وإلا يمكن ان نقول لايوجد فرق بينهما وان النفس تارة تدرك في مرتبة الحواس وأخرى تدرك في مراتب أخرى لها، فإن النفس الإنسانية لها مراتب من الإدراك من خلالها تدرك الأمور المادية وترتبط من خلال تلك المراتب مع باقي الموجودات، فإذا كانت الموجودات مادية لابد ان تكون وسيلة الارتباط بها مادية، حتى تحصل مناسبة بينها وبين الموجودات المادية، وإذا كانت تلك الموجودات مثالية لابد ان يكون في النفس قوى مثالية من أجل ان ترتبط بها وهكذا، من المعلوم ان الأشياء المادية لاتدرك من جميع جهاتها بحاسة واحدة، بل الشيء المادي فيه جوانب متعددة كل جانب منه تدركه حاسة من الحواس، فإنه قد يكون له شكل ولون وهيئة خارجية فيدرك من خلال هذا البصر، وقد يكون له طعم خاص فيدرك بالذوق، وقد يكون له رائحة خاصة فتدرك بالشم، وقد يكون له صوت خاص فيدرك بالسمع من خلال الاذن، وقد يكون له ملمس خاص ناعم أو خشن حار أو بأرد فيدرك من خلال حاسة اللمس، وليس كل الأشياء المادية لابد ان تكون لها جهات خمس فتقع عليها الحواس، ليس الأمر كذلك فإن بعض الأمور لالون لها وبعضها لاطعم لها وبعضها لارائحة لها وبعضها لاصوت وهكذا.

وحتى يحصل للإنسان أحد هذه الإدراكات ويرتبط بها لابد من وجود مقتضي وحصول شرائط وارتفاع موانع، يعني إذا أراد ان يرى شيئاً لابد أولاً ان تكون للإنسان عين وهذه العين سليمة ولابد ان يكون الشيء المراد رؤيته قابل للرؤية، ولابد ان يكون في حدود مسافة معينة، ولابد ان لا يوجد هناك مانع من حصول الرؤية، ولابد من وجود الضوء وهكذا، فنحتاج إلى أمور متعددة تجتمع حتى تحصل الرؤية البصرية، وكذلك الحال في باقي الحواس تحتاج إلى أمور متعددة حتى تدرك، فالذي يفقد حسا من هذه الحواس الخمسة فإنه يفقد علما كما يذكر الحكماء، ذلك لأن الذي يفقد البصر مثلاً فإن الأمور التي يدركها الإنسان ببصره لا يمكن ان يدركها بحاسة أخرى، لأن الحواس الأخرى تدرك أموراً لاتدركها الباصرة، فالالوان والاشكال لايمكن للإنسان ان يحصل له العلم بها إلا من خلال البصر، فمن فقد البصر فقد العلم بالالوان والاشكال ولاتوجد حساسه تدرك الالوان والاشكال، وهكذا بالنسبة إلى باقي الحواس الأخرى، إذا فقدها الإنسان فإنه لا تعوضها باقي الحواس الأخرى وهذا كله بالنسبة إلى الحواس المادية وكيفية ارتباطها بعالم المادة.

وسيتبين لنا ان شاء الله هل ان الحواس الباطنة هي كالحواس الظاهرة في هذه الأحكام أو تختلف عنها؟

❊ ❊ ❊

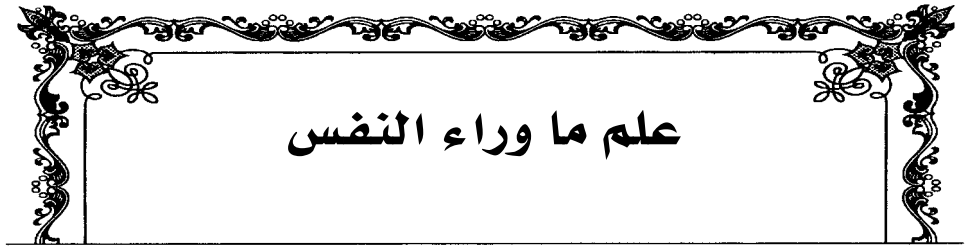

علم ما وراء النفس

البحث في هذا العلم واسع وطويل الذيل بين المؤيدين له والنافين، ولكن مما لاشك ان هناك اهتمام كبير جداً من أهل العلم والمعرفة والمتطلعين إلى استكشاف أسرار الإنسان والكون في كثير من الجامعات في بلدان العالم والمراكز العلمية، وتبذل أموال طائلة وجهود جبارة من أجل الوقوف عليه، وهو من العلوم حديثة العهد من حيث اخذه الطابع العلمي، والسبب في الاهتمام في هذا العلم مؤخرا هو ان البلدان الغربية بعد عصر النهضة والتنوير اشاحت بوجهها عن كل أمر ليس بمادي واوغلت بالمادية والابتعاد عن الماورائيات، وكل من يهتم بما وراء المادة يرمى بالخرافة والاسطورية، ولا اقل ان بحثه لايكون بحثا علميا خاضعا للموازين العلمية التي اعتمدتها المراكز العلمية والبحثية بعد عصر النهضة، هذا بالاضافة إلى إنه قبل هذه الفترة كان زمام الأمور بيد الكنيسة والذي يدعي مثل هذه الأمور ولم يكن منتما للكنيسة، سوف يرمى بالسحر وقد تطاله محاكم التفتيش في ذلك الوقت.

أما بعد ان اوغل الغرب بالمادة وانقطع انقطاعا تاما عن كل ماهو خارج عن هذا الميدان بدت له سلبيات هذا التطرف المفرط، وما يجره هذا التطرف من الويلات على الإنسانية فإن التطرف في أي مجال هو خروج عن الجادة الوسطى، فاخذ يعود إلى رشده ويحد من ذلك التطرف، ويولي اهتماما وان كان اهتماما خجلا في بادئ الأمر بالجانب الروحي، ولكن

شيئاً فشيئاً اخذت الأمور تعود إلى نصابها، وان كان هذا ليس عند الكل فإن بعض الاتجاهات المادية لا زالت يحكمها ذلك الطابع المتطرف، ولكن صار من الممكن لكثير من أهل العلم والمعرفة البحث في أي قضية كانت من دون ان يحكم عليهم أو على بحوثهم بالاسطورية والخرافة.

لذا نجد اهتماما واسعا النطاق في هذا العلم الحديث حتى في الدول التي كانت تقوم مبادئها وفلسفتها على المادة فحسب كالدول الشيوعية التي تؤمن بالمادية الديالكتيكية، والحال ان مثل هذه البحوث تتقاطع مع مبادئ فلسفتهم الموغلة بالمادية في شتى مجالات الحياة، ولكن مع ذلك تجد هناك اهتمام بمثل هذه الظواهر ووضعها في متناول البحث والفحص الدقيق واتباع الاساليب العلمية في نقدها وتمحيصها.

ومن خلال هذا يتضح لنا لماذا ظهر الاهتمام بهذا العلم مؤخراً، يعني في اواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين للأسباب التي ذكرناها، ولكن الاهتمام أصبح واسع النطاق جداً في البحث القضايا الروحية والنفسية، وعلى مستوى الدول الكبرى فضلا عن أهل العلم والبحث والمعرفة، ويذكر الدكتور رؤوف عبيد ـ وهو كان يشغل وكيل كلية الحقوق في جامعة عين شمس في القاهرة ـ في موسوعته مفصل الإنسان روح لا جسد في الجزء الأول في الباب الرابع في بعض الاسماء والمراجع في العلم الروحي الحديث ويأخذ في التعداد من ص٣٠٦ حتى ص٥١٢ في شتى الدول، يذكر كما هائلا من الاسماء لعلماء واناس لهم شهرة واسعة في ميادين العلم والمعرفة على مستوى العالم.

وأنا في هذا البحث لست بصدد التعرض لهذا العلم والخوض فيه، لأن هذا له مجاله الخاص به، ولكن لأن فيه بعض الجوانب التي ترتبط ببحثا ارتباطا وثيقا أردت ان اعرض منه ماله دخل فيما نحن بصدده.

ليس من المعتاد في بحوث علم النفس الفلسفي أو مباحث الفلسفة الهية التعرض لمثل هذه البحوث لأن مناهج البحث فيهما تختلف، فإن في البحوث العلمية الحديثة عن الروح والنفس الإنسانية المنهج المتبع فيها هو المنهج التجريبي، أما في علم النفس الفلسفي والفلسفة الالهية البحث فيهما بحثا عقليا صرفا وان كان بعض الأحيان يستأنس له ببعض الشواهد النقلية، وأنا في هذا البحث لم اقتصر على البحث العقلي البحت، أو النقلي فقط، بل أحاول ان أتناول الموضوع من جهات متعددة لكي أعطي الموضوع صورة اوضح للقارئ، هذا أولاً.

وثانياً، كثير من الناس لأسباب متعددة حينما يسمع أو يقرأ أموراً حول قدرات الإنسان وبعض الأمور الغيبية التي تذكرها الآيات أو الروايات نجد إنه حتى لو قبلها لساناً لكنه لايقتنع بها قلبيا ويبقى مستبعداً لها، فهو بين حالتين أما ان يرفضها استجابة لعدم قناعته النفسية والقلبية بها، وهو بهذا يخضع لضغوط نفسية أخرى بسبب إنه انكر أمراً يذكره الدين الذي يؤمن به هو، وأما ان يقبل بها لكي لا يرفض أمراً يثبته دينه، ولكن تبقى عدم قناعته النفسية بهذا الأمر تعلن معارضتها لما رضخ لقبوله من أجل الحفاظ على الدين الذي يؤمن به.

فهو على كل حال يعيش في صراع نفسي وتناقض، والسبب في ذلك كله هو الاستبعاد فقط، يعني استبعاد وقوع ذلك الأمر الذي ورد ذكره في النصوص الدينية، وإلا فلم يقم على استحالة وقوعه برهان قاطع ودليل دامغ، ولكن كل ماهناك ان كثير من الناس ـ وحينما أقول كثير من الناس اقصد الناس الذين يمتلكون ثقافة ووعي ـ تستبعد وقوع مثل هذه الأمور بسبب انهم لم يشاهدوا أو يسمعوا بوقوعها، ولكن حينما يسمع حوادث مشابهة لها يقصها عليه أهل العلم، وان هناك اهتمام من قبل جهات متعددة

في دول العالم لمثل هذه الحوادث عندها سوف ينكسر عنده ذلك الاستبعاد، ويزول منه ذلك الصراع الداخلي، ولا يجد هناك تناقض بين معطيات العلم وبين ما يؤمن به من قضايا الدين.

فهذا ما دعاني لأن اتعرض لبعض مسائل علم الباراسايكولوجي أو علم ما وراء النفس، وأأكد مرة أخرى على ان الخلاف في هذا العلم نفيا واثباتا لايضر بما نريده هنا فأنا لا نجعل هذا العلم دليل وأساس لما نحن بصدده بل الغرض من ذلك أولاً وبذات هو كسر حاجز الاستبعاد للمتطلع إلى الظواهر التي نبحثها، وثانيا بيان ان مثل هذه الظواهر هي محط اهتمام كثير من رجالات العلم في شتى اصقاع العالم.

وعلى هذا الأساس سيكون بحثي في هذا العلم من جهتين الجهة الأولى هو توضيح عام لهذا العلم وتوضيح بعض الفروع منه وهي التي تتعلق ببحثنا من قبيل الاستشفاف أو الجلاء البصر والجلاء السمعي والخروج من الجسد، والجهة الثانية من البحث أذكر فيها نماذج ممن ورد ذكرهم في مصادر البحث ممن يمتلكون مثل هذه القدرات.

أما الجهة الأولى: يعرف الاستاذ الدكتور الحارث عبد الحميد الذي كان يشغل مدير عام مركز البحوث النفسية ورئيس جمعية الباراسايكولوجي العراقية هذا العلم بقوله:

تتكون كلمة (الباراسايكولوجي) من مقطعين (باراً) وتعني المناظر أو الشبيه أو القريب أو ما وراءه، و(سايكولوجي) وتعني علم النفس، وقد أبتدع هذا المصطلح الفيلسوف الالماني ماكس دسوار، وظل متداولاً حتى يومنا هذا، ليعبر عن مجموعة القدرات فوق الحسية التي تقع خارج اطار المدرك من الحواس الخمسة الاعتيادية، لكن هذا المصطلح لم يكن مقبولا بالشكل المطلوب في دوائر البحث والدراسة، كونة أي (الباراسايكولوجي)

لا يرتبط فقط بعلم النفس، بل بعدد أخر من العلوم المختلفة، لذلك ابتكر المهندس (ثوليس) ورفاقة من الباحثين في الباراسايكولوجي في سنة ١٩٤٧ مصطلحا اطلق عليه «الساي» ليكون معبراً عن مجموعة القدرات والقابليات الباراسايكولوجية، وهو الحرف الثالث والعشرون في اللغة الاغريقية، وهو كذلك مصطلح يستخدم في الرياضيات للتعبير عن الدالات الرياضية المجهولة.. وبذلك تصبح القدرات الباراسايكولوجية ملكاً في التفسير والتحليل والاستقصاء للعلوم المختلفة وليست حكرا للسايكولوجي فقط.

أما الاستشفاف أو الجلاء البصري فيعرفه الدكتور رؤوف عبيد يقول: الاستشفاف أو الجلاء البصري (Clairvoyance) وهو تعبير ينصرف إلى ملكة رؤية ما لا يمكن للعين رؤيته بحاسة النظر العادية، ويتضمن الرؤية الصحيحة عن بعد للأشياء المادية، كما يتضمن الرؤية لأشياء داخل علب أو مظاريف مغلقة ومختومة، ويتضمن بطبيعة الحال ملكة رؤية الكائنات غير المنظورة داخل غرف الجلسات، وأعطاء اوصاف صحيحة لها، مع أنها قد تكون اجنبية تماماً عن حياة الوسيط، وقد لايكون شاهد لها صوراً من قبل، وقد تبين ظهور حالات معينة لجلاء بصري صحيح عند بعض وسطاء التنويم المغناطيسي للأشياء البعيدة عن متناول بصرهم العادي، وللأشياء الروحية أيضاً في بعض الدرجات العالية لهذا النويم، حتى ليمكن القول بأن موهبة الاستشفاف، أو الجلاء البصري، مشتركة بين بعض الوسطاء الروحيين وبعض وسطاء التنويم المغناطيسي، وهي تشبه في هذا الشأن موهبتي الجلاء السمعي والتلباثي أو انتقال الافكار عبر العقول وبغير طريق الفم والاذن.

ويعرف الجلاء السمعي يقول:

الاستشفاف أو الجلاء السمعي (Clairaudience) وهو تعبير ينصرف إلى ملكة سماع ما لا يمكن للأذن العادية سماعه، ويتضمن احتمال التقاط

العبارات العادية عن بعد، كما يتضمن احتمال انتقال الافكار عن طريق التلباثي من مستوى مادي، وعن طريق الالهام Intuition; Inspiration من مستوى غير مادي[١].

وفي ملحق ثقافي لصحيفة الثورة السياسية التي تصدر عن مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر بتاريخ ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٨م تحت عنوان أحلام المعرفة المسبقة يبين البروفسور معروف الجلبي ظواهر الجلاء انقل كلامه على طوله للفائدة يقول:

تُعد ظواهر الجلاء من أهم الظواهر الباراسيكولوجية الرئيسة. إذ أُصطلح قديماً على الظواهر هذه الجلاء الحسي أو الاستشعار (Clairsentience)، والذي اشتمل على نوعين رئيسين وهي:

أ ـ ظاهرة الجلاء البَصَري الاستشفاف Clairvoyance تُعَرَّف ظاهرة الجلاء البصري في معظم المصادر أنها:

تلك الظاهرة التي تسمح لمن يمتلكها أن يرى ببصيرته، صوراً، رموزاً أو معرفةً لأحداثٍ تحصل آنياً، أو كانت حدثت أو ستحدث... ومن مسافات قد تصل آلاف الكيلومترات (هناك وثائق تُشير إلى أن تجارب استبصارية وتخاطرية تم إجراؤها بنجاح مُرضي لموقعين أحداهما في الفضاء الخارجي (كبسولة فضائية) والآخر على الأرض).

وقد ينضوي تحت العنوان هذا، قدرة رؤية (الهالة) The Aura أو ما تُسمى أحياناً (الطاقة البيولوجية) التي تحيط بالأحياء والأشياء، فضلاً عن قدرة رؤية الأشياء المخفية (قد تكون حاجة ما موضوعة داخل علبة، أو

(١) مفصل الإنسان روح لاجسد الدكتور رؤوف عبيد ج١ص١٦٦.

جُمل أو كلمات مكتوبة على ورقة معبأة في مظروف مغلق) أو استشعاراً للمعرفة في تحديد موقع العضو أو الجسم المخفي وحركته (kinesthetic impressions). تُعد (قدرة الجلاء البصري) إحدى أهم القدرات الباراسيكولوجية الرئيسة قاطبةً، والتي تقع ضمن مجموعة القدرات المُتَلَقّية... وهي تلك المجموعة من الظواهر التي تطلق عليها معظم المصادر اسم:

(قدرات الإدراك الحسي الفائق) Extra-Sensory Perception. ولُغوياً، تُسمى (قدرة الاستشفاف).. إن آلية الظواهر هذه لا ترتبط بالطاقات الفيزيائية الاعتيادية المتعارف عليها... هناك من يخلط بين كل ظواهر الجلاء والتخاطر والمعرفة المسبقة، كونها من الظواهر المُتسَلِّمَة أو المُتَلَقّية، ويضعها مجتمعةً بكاملها ضمن ظاهرة الاستشفاف كونها تمثل ظواهر الإدراك الحسي الفائق.

ويعود أصل المصطلح Clairvoyance إلى اللاتينية، وهو من مقطعين الأول (Claire) وتعني واضح، والمقطع الثاني (Voyance) وتعني الرؤية. والمعلوم أن معظم المصادر، تُقسِّم الظواهر الباراسيكولوجية (Psi) على صنفين، من بعد أن تم فصل الظواهر الروحية عنها:

الصنف الأول: الظواهر ذات القدرات المُتلقية (ESP)، إذ يشمل ذلك ظواهر التخاطر وكل ظواهر الجلاء، فضلاً عن ظاهرة المعرفة المُسبقة (Pre-Cast) وظواهر عديدة أخرى كقدرة الاستنباء، أو قدرة التكهن النفسي، وحتى ظاهرة الشعور المُكَرَر لحدث مرئي/ مسموع في السابق الخ. أما الصنف الثاني: فهي الظواهر ذات القدرات المُعبّرة أو المُرسِلة، إذ أنهم عدّوا كُل ظواهرها تقع ضمن ظواهر التحريك النفسي (P.K.) وقد اُستُغلت

قدرة الاستشفاف (تاريخياً) كإحدى الأدوات الإقناعية والطقوسية التي أُشـيرَ إليها في العديد من الديانات (خصوصاً الشرقية). فضلاً عن أن ذكرها يتردد في الأحاجي أو النوادر المتنوعة التي ارتبطت بالتراث الحضاري للعديد من الشعوب... إن الاهتمام بقدرة الاستشفاف كإحدى الملاحظات العلمية كانت بدأت منذ عصر مُبْتَـكِر التنويم المغناطيسي الدكتور فرانز أ. مِزمِر Franz Anton Mesmer (1733 1815)، إذ لـوحـظ ظـهـورهـا عـنـد عـدد مـن المـراجـعـيـن الـذيـن كـانـوا يـعـانـون مـن حـالـة الـتـجـوال فـي أثـنـاء الـنـوم (Somnambulists)، والأشخاص الذين كانوا تحت تأثير التنويم المغناطيسي (Mesmerized)، والمرضى الذين كانوا تحت وطـأة حالة الغشية (Trance State)..ولكن يرجع الفضل الأكبر في تشخيص ظاهرة الغشية الاستشفافية (Trance State Clairvoyance) في العصور الأخيرة إلى:

(الدكتور پويسيغور Marquis de Puysegur) زميل الدكتور مِزمِر.. فخلال أبحاثه عام (١٧٨٤) في التنويم المغناطيسي، كان دي پويسيغور يُشرف على أحد مرضاه من الفلاحين العاديين؛ إذ كانت تظهر عليه وبشكل دائم قدرة الاستبصار (الاستشفاف) عندما يكون في حالة أقرب إلى الغيبوبة منها إلى الوعي؛ إذ كانت تتبدل إمكانياته الشخصية.. فمن كونه دون متوسط الذكاء، بات ذلك الذكي المُفعم بالطاقات، المتكلم والواثق من نفسه وبكفاءته، ليس بالعلوم العامة وحسب، بل وبالأمور الطبية أيضاً!!؛ إذ استطاع وفي أثناء وجوده وهو في حالة الغشية هذه، ليس فقط في تشخيص مَرَضِهِ بنفسِه، بل إلى تشخيص الحالات الصحية لكل مريض من مرضى پويسيغور، وإعطائهم الوصفة الطبية الصحيحة اللازمة لكل حالة بحالتها!! ولكن، لوحظ أيضاً، أنه وعند رجوعه إلى حالته الطبيعية الأولية (شخصية الفلاح) أي بعد زوال تأثيراًت ظاهرة الغشية، بات لا يتذكر أي شيء مما

حصل له. كذلك، وبشأن ما يرتبط بتاريخ الظاهرة هذه، هي كُثرَة تراكم النوادر أو القصص التي حُكيت ولازالت بين عموم الناس (الأم الفلانية أعلمها شعورها أن ابنها أُصيب إصابة طفيفة في الموقع الذي يعمل فيه، وتبين بعد ذلك، أي عند عودة ابنها إلى البيت أن الحادث عينه فعلاً كان حصل له)، أو قد تحصل أحداث يمكن تصنيفها ضمن ظواهر التزامنية (Synchronic Phenomenon)، والأمثلة عديدة ومتنوعة فهي منتشرة بين كافة المجتمعات؛ وخير مثال على إحدى الأنواع من الظواهر هذه هو الآتي: [تحصل ومن دون سابق إنذار، أن يخطر ببالك وبشكل مفاجئ شخص ما، أو ينتابك شعوراً بوجوده، أو في الأقل يُذكر اسمه أمامك، أو يحدث شيئ ما للدلالة عليه، وما هي إلا لحظات، وإذا بالشخص نفسه الذي مر بخاطرك الوهلة يفاجئك شاخصاً أمامك، أو في الأقل تصلك رسالة منه، أو خبراً لوصوله.. وأمثلة أخرى مشابهة لذلك، كلها تهدف لمصبٍ واحد، ألا وهو بُحيرة الظواهر التزامنية. إن قدرة ألاستشفاف تأخذ أشكالاً عدة، أشهرها:

قدرة الاستشفاف التقليدية (Classical)المتعارف عليها: والتي من خلالها يتمكن صاحب القدرة من رؤية الأحداث المطلوب معرفتها عن بُعد (الأحداث التي تحصل آنياً في ذات الوقت، وهي عادة معلومات مختصرة وليست تفصيلية). وتُعَد القدرة التقليدية هذه أبسط أنواع القدرات الاستشفافية. ب. قدرة الاستشفاف لأحداث كانت حدثت في الماضي: Clairvoyance Retro-Cognitio، أو قدرة الاستبصار لأحداث التي ستحدث أو قد تحدث في المستقبل Pre-Cast Clairvoyance: والحالة هذه تختلف كلية عن الحالة التي سبقتها، وبالذات من حيث آليتها، إذ تُعد عناصر الأحداث التي انقضى حدوثها في الماضي جزءاً من الحقائق التاريخية

الثابتة، والتي لا يُشك في مصداقيتها على الإطلاق من حيث حصولها فعلياً، على حين تكون مُجمل الأحداث التي ستحدث في المستقبل مكونة من عناصر محتملة، وهي عادة محصلات للأحداث المستقبلية المترابطة، والتي تمتلك من الخصائص الأكثر احتمالاً من بين العديد من الاحتمالات لتكوين الحدث المستقبلي النسبي، والتي (قد) تكون عرضة للتغيير! لذا، ففي الحالة هذه، تكون المعلومات المُستَلَمة من الماضي (أي المعلومات المسترجعة) بالضرورة هي أكثر دقةً ووضوحاً ورسوخاً وبـ(الكَم الزمني المتقابل نفسه) من تلك القادمة من المستقبل... كذلك، تقع ضمن الحالة الأخيرة هذه،

(ظواهر أحلام المعرفة المُسبقة Pre-Cast Dreams) أو قد تُسمى في العلوم الروحية (الأحلام التنبؤية Precognitive Dreams)، إذ يعطي الحالم (مُسبق المعرفة) معلومات لأحداث لم تكن حدثت بعد... ويتم التأكد من ذلك فيما بعد ... ج. قدرة الاستبصار الروحية:

وهي تلك القدرة التي ترافقها وساطة روحية Spiritual Help. والأشكال هذه من الاستبصار تكون عادة أقل وضوحاً ودقةً، وتأتي في الأغلب بحالة رمزية لا تبقى بثباتها لمُدة كافية تمكِّن المرء من التحقق أو التَعَرُّف على درجة مصداقيتها، وفي كل الأحوال نترك الظاهرة هذه لأصحابها في العلوم الروحية، إذ لا تدخل الظاهرة هذه ضمن الظواهر الباراسيكولوجية... د. قدرة الاستبصار الحاضرة: وتُعد القدرة هذه، أقوى أنواع الاستبصار على الإطلاق، إذ يستمر صاحب الاستبصار بإعطاء المعلومات تفصيلياً، الواحدة تلي الأخرى وكأنه موجود بجسده وروحه هناك في داخل موقع الحدث، يرى ويتسَلَّم المعلومات.. ويرسلها إلى نفسه، إذ أنه يصوّرها بدقة. وفي معظم المصادر تطلق على القدرة هذه

تسمية (الرؤية والإدراك عن بُعد ...(Remote Viewing وأحياناً ينعتها عدد من الپاراسيكولوجيين باسم لاتيني (Seeing Viojora)، فهي تبدو عند تطبيقها كالصور التلفزيونية التي تنقلها كاميرات المحطات الفضائية؛ وقد يتمكن صاحب القدرة هذه إعطاء معلوماته على شكل صور لأَحداثٍ سبق أن حصلت في الماضي .../ Remote Viewing Retro-Cognition أو لأَحداثٍ قد تحصل في المستقبل (وعادة في المستقبل القريب نسبياً Remote Viewing / Pre-Cast). انتهى

واما بالنسبة إلى الجسد الاثيري يقول الدكتور روؤف عبيد في كتابه ظواهر الخروج من الجسد:

من اخطر الحقائق التي كشفت عنها التحقيقات المتواصلة في الظواهر الروحية منذ قرن وربع إنه يوجد لكل كائن حي إنساناً كان أم حيوانا جسد غير مادي يطلق عليه وصف أثيري أو كوكبي ـ ويقول ـ وهذا الجسد اللامادي هو صلة الوصل بين الروح الناطقة بمعنى الشرارة القدسية التي تهبنا الحياة وبين الجسد المادي، ويصل بين الجسدين حبل من الضوء يسمى الحبل السري الروحي، وهو يعد مقابلا للحبل السري الذي يصل الجنين بالمشيمة ويلزم قطعه وربطه عند الولادة، وأما الحبل الفضي ـ الروحي ـ فينقطع من تلقاء نفسه عند الوفاة فتتوقف بأنقطاعه الحياة في الجسد المادي، كيما تبدأ من جديد في المستوى الكوكبي، وهو أول مستوى تصل إليه النفس بعد الانفصال عن الجسد المادي بالوفاة، وبغير إمكان الانفصال عن هذا الجسد اللامادي الخاضع لناموس التطور، ولكن بحسب مستوى الوجود الذي قد يحيى فيه صاحبه، فمستواه الكوكبي في العالم الكوكبي Astral يتطور إلى روحي في العالم الروحي Spiritual ثم إلى عقلي في المستوى العقلي للوجود Intellectual وقد تعددت النظريات

والمدارس بشأن هذا الجسد غير المادي بما يضيق المقام عن تفصيله لكنها تسلم كلها بوجوده وبأنه هو الإنسان الحقيقي المختفي وراء قناع سميك مضلل هو الذي يطلق عليه وصف (الإنسان)[١] ثم يقول في موضع أخر ان ظواهر الخروج من الجسد متنوعة فهناك خروج واع وآخر غير واع، وهناك خروج يتم في النوم العادي، وآخر يتم في الغيبوبة المغناطيسية خصوصا في الدرجات العميقة منها، وثالث يتم في الغيبوبة الوساطية Trance. ثم يقول والظاهر ان حالات الخروج من الجسد كثيرة جداً واكثر مما نتصور ويبدو أنها ظاهرة تحدث لعدد غفير من الناس في حالة النوم العادي وايضا في حالات التخدير اثناء العمليات الجراحية كما لوحظ ذيوع عدد منها في حالات الالم والخطر الشديد والذعر الشديد واللهفة الشديدة على رؤية قريب منتقل أو على قيد الحياة الأرضية، ويذكر ان البروفسور جوزيف بانكس راين J.B.Rhine رئيس قسم الباراسيكولوجي بجامعة ديوك بأمريكا ورئيس (مؤسسة البحث في طبيعة الإنسان) عندما اعلن عن ترحيبه بما قد يصل إليه من هذه الحالات لفحصها ودراستها تلقى حوالي عشرة آلآف حالة من أشخاص في كافة انحاء العالم شاهدوا أجسامهم المادية وهم مطروحين منها طرحا واعيا، وكان راين يستهدف بذلك إلى اخضاع هذه الظاهرة إلى نفس اسلوبه الرياضي الفذ الذي اتبعه في دراسة ظاهرتي التلباثي (التخاطر) والجلاء البصري، والذي انتهى به إلى القطع بصحة هاتين الظاهرتين رياضيا بعد عشرات السنين، حتى لقد انتهى به الأمر إلى تحويل (قسم السيكولوجي) بجامعة ديوك إلى (قسم للباراسيكولوجي) إيمانا منه بأن علم النفس الحديث ينبغي ان يقام على دراسة هذه الظواهر غير المألوفة لانها

(١) ظواهر الخروج من الجسد الدكتور رؤوف عبيد ص١٧.

تكشف كشفا صحيحا عن ابعاد النفس الإنسانية وملكاتها الحقيقية، وهو نفس الدرب الذي سلكته جامعات أخرى أوربية وأمريكية[١].

ثم يشرع بعد ذلك بذكر كبار العلماء ممن اهتموا بالبحث عن هذا الموضوع واعتقدوا بصحته وذكر ادلتهم على وجوده.

وبهذا نكون قد أعطينا نبذة عن الجهة الأولى التي قلنا أنها تتعلق ببيان بعض الأمور التي نحتاجها في هذا البحث وقد بينا ماهو علم الباراسايكولوجي وبينا بعض أقسامه وهي الجلاء البصري والجلاء السمعي وظاهرة الخروج من الجسد.

واما الجهة الثانية: وهي ذكر بعض النماذج التي عندها هذه القدرات أذكر بعض الوقائع التي ذكرها رون ماكري وهو صحفي مححق في كتابه حروب العقل الذي نشره سنة ١٩٨٤م وهو بالمقدار الممكن حيادي في طرحه لهذا الموضوع الذي يتضمن عرض تحقيق دقيق في الوثائق ومصادر واقعية وميدانية في استخدام الحكومة الأمريكية والسوفييتيه لعلم الباراسيكولوجي يقول:

ان دائرة العدل في ولاية كالفورنيا اصدرت تعليمات خاصة لاستخدام الأشخاص ذوي القدرلت النفسية الخارقة في التحقيقات الجنائية، تقول التعليمات: يظهر ان أولئك الأشخاص يقدمون مساعدات ثمينة لتطبيق القانون فالشخص الموهوب يمكن ان يساعد المحققين فيما يلي:

ـ تحديد المنطقة الجغرافية للشخص المفقود.

ـ تضييق عدد الادلة التي يجب التركيز عليها.

(١) نفس المصدر ص٦٧.

ـ تركيز الانتباه على معلومات مهملة.

ـ توفير معلومات خافية على المحقق.

وتحذر تعليمات كلفورنيا بأنه حتى الأشخاص الموهوبين لايمكن ان يكونوا دقيقين ١٠٠٪ من الوقت، وانهم لايحلون محل عمل الشرطة[١].

ويقول في مدينة سانت لويس بولاية ميزوري طلبت الشرطة من (الفريق الأمريكي ذي القدرات الخارقة) وهو منظمة خاصة لا ارتباط لها بالحكومة الفدرالية، ان يساعد في حالة والد لسبعة ابناء اختفوا اثناء إحدى مباريات الشطرنج ولم تعثر الشرطة إلا على سيارة الوالد ونظارته.

اجتمع الفريق في بيت قائدته بيفرلي جيكرز وهي ربة بيت في إحدى الضواحي وام لستة ابناء، كان من بين الفريق المكون من عشرين عضوا محام وشرطي وتاجر عقارات متقاعد وعدة طيارين، وبمصاحبة رجلين من شرطة مدينة سانت لويس تمكن اعضاء الفريق في جلسة خاصة من وصف انطباعاتهم عن صورة شاهدوها للشخص المفقود: غطاء عجلة ايمن مفقود مصباح إمامي ساقط امتعة منثورة في ساحة مقفرة هاتف محطم في حجرة قريبة وحزام كبير.

واكدت الشرطة التفاصيل فالسيارة فقدت غطاء عجلتها اليمنى ومصباحها الإمامي والرجل يرتدي حزاما كبيراً وثمة ساحة مقفرة وحجيرة قريبة حيث توقفت السيارة، أحد المحققين قطع صورة فوتوغرافية للرجل وزوجته قطعتين ووضعهما مقلوبتين في يدي بيفرلي جيكرز فأحست ببرودة النصف الذي يحوي صورة الرجل، هذا الفريق الأمريكي لم يحدد مكان

(١) حروب العقل رونالد م. ماكري ترجمة سمير محمد ص٣٥.

الرجل الذي ضل مسجلا من المفقودين، لكن شرطة سانت لويس تثق بأن الفريق يمكن ان يوفر ادلة حاسمة في حالات أخرى[١].

ويقول عن الرؤية عن بعد: والنتائج الاكثر جدارة بالثقة التي ذكرها بتهوف وتارك عن الأشخاص الموهوبين جديرة بالثقة حقا، فقد وصف احدهم محتويات غرفة حفظ اضابير مغلقة تبعد عنه ثلاثة آلآف ميل، وبينت رؤية أخرى ان في كوكب المشتري حلقات باهته تشبه حلقات زحل، وقد سخر رواد الفضاء من ذلك، واسماها كارل ساغان (سخيفة) وبعد تسع سنين ارسلت المركبة الفضائية فويجر ـ ١ صوراً عن حلقات المشتري[٢].

ويذكر عن العضو في الكونغرس شارلي روز وهو عضوا في (لجنة مجلس النواب المختارة لشؤون المخابرات) وشارك بنفسه في بحوث الاسلحة النفسية يقول: ان الروس ماضون قدما في هذا المجال ويجب إلا نتخلف عنهم. ويقول ولقد شاهدت امثلة مذهلة للرؤية عن بعد اقنعتني بأننا يجب ان نولي اهتماما جادا بالتطورات الجارية في هذا الحقل وخاصة بما يفعله السوفيت، فإذا طوروا قدرة تمكن الأشخاص من ان يروا (ذهنيا) المراكز السرية في بلادنا فاننا سنصل إلى المرحلة التي لن يبقى لدينا فيها شيء من الأسرار[٣].

ويذكر دراسة اجرتها وكالة استخبارات الدفاع يقول:

والاهم من ذلك ما خلصت إليه دراسة اجرتها وكالة استخبارت الدفاع عام ١٩٧٢ كانت تعد من الأسرار الخطيرة ثم نشرت عام ١٩٧٨، وهو ان

(١) مصدر سابق ص٣٦.
(٢) نفس المصدر ص٥٢.
(٣) نفس المصدر ص٦٧.

الجهود السوفيتية في حقل بحوث الظواهر النفسية الخارقة سوف تمكن السوفيت عاجلا أم آجلا من ان يحققوا مايلي:

أ ـ معرفة محتويات أشد الوثائق الأمريكية سرية، الخاصة بنشر قواتنا وسفننا وتحديد مواقع وطبيعة منشآتنا العسكرية.

ب ـ برمجة افكار كبار القادة الأمريكان العسكريين والمدنيين عن بعد.

جـ ـ قتل أي مسؤول أمريكي عن بعد.

د ـ تعطيل كل أنواع المعدات العسكرية الأمريكية عن بعد، بما في ذلك المركبات الفضائية.

يقول هذه التنبؤات وان بدت غير معقولة إلا ان اصدائها ترددت مراراً وتكرار في تقييمات الاستخبارات حتى يومنا هذا، فاستنادا إلى دراسة اجرتها وكالة استخبارات الدفاع عام ١٩٧٥ نشرت أيضاً عام ١٩٧٨ فإن الاسلحة السايكوترونية السوفيتية تشكل تهديداً خطيراً لكل الجيوش المعادية والسفارات والمنشآت الامنية، وتحذر دراسة أخرى اجرتها وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٧٥ من ان السوفيت متفوقون على الولايات المتحدة في دراسات الباراسايكولوجية التطبيقية[١].

ويذكر مشروع (سكانت) وهو لاختبار ذوي الإدراك فوق الحسي والرؤية عن بعد، من قبل وكالة المخابرات المركزية وجهات أخرى، يقول عنه: وهو اختبار مستحيل ذو نتائج مستحيلة، والفائز هو بتهوف وتارك وذوو القدرات الخارقة، يذكر أشخاصا عدة خضعوا للاختبار منهم المدعو برايس، أعطى بتهوف ـ وهو أحد القائمين على المشروع ـ لبرايس احداثيات أخر سلسة من الاهداف التي اختارتها وكالة المخابرات المركزية

(١) مصدر سابق ص٦٩.

بما في ذلك منطقة في ولاية فرجينيا تبعد نحو ١٣٥ ميلا جنوب غرب واشنطن وبعد ثلاثة أيام جائته استجابة برايس مكتوبة بخمس صفحات في البريد، بدءا بوصف المنطقة من ارتفاع ١,٥٠٠ قدم وانتهاء برحلة في حجرات البناية الداخلية، كانت الرحلة كاملة بأوصاف المعدات والاسماء والمناضد ولكي يثبت جديته قدم قائمة لعشرة عناوين من الاضابير المخفية في المجرات، قال برايس إنه نقل رأسه إلى غرفة الاضابير وتحسس العناوين، ثم قدم بتهوف جواب برايس إلى رجل الارتباط بالوكالة، وبعد ثلاثة اسابيع اخبرته وكالة المخابرات المركزية بأن برايس كان مصيباً إصابة تامة.

واختبر شخص أخر اسمه سوان ووصف وصفا دقيقا منشأة سوفيتية مجهولة راسما بناياتها وخطوط سلالمها ملاحظا ان نسبة النساء عالية جداً بين العاملين، وبعد ثلاثة اشهر اثبت قمر صناعي تجسسي أمريكي صحة تقرير سوان. وأعطي سوان احداثيات خط العرض ٤٩ درجة ٢٠ جنوبا وخط الطول ٧٠ درجة ١٤ شرقا وطلب منه ان ان يجيب فوراً بدون استخدام خريطة فاجاب قائلا: جوابي الأولي أنها جزيرة وربما جبل يرتفع فوق سحابة تبدو التضاريس مليئة بالصخور، الجو بأرد، ارى بنايات مرتبة بصورة حسابية، احداها برتقالية اللون وهناك صهريجان اسطوانيان ابيضان كبيراًن، ومضى سوان يصف محطة بحوث جوية سوفيتية فرنسية مشتركة في جزيرة كرغولين الواقعة في القطب الجنوبي بكل تفاصيلها حتى مرافقها الصحية الخارجية [١].

ويذكر عن سوان سبب الخطأ الذي تتضمنه بعض المعلومات في نتائج

(١) مصدر سابق ص١١١.

الرؤية عن بعد، وهو يتعلق بموضوع الخطأ في الحواس أو في التفسير الذي سنبحثه ان شاء الله في أحد عناوين الكتاب، لذا انقل ما يقوله بسبب ارتباطه بهذا الموضوع، يقول: تدل الاجوبة المستحصلة من محاولات الأشخاص لرؤية الاهداف البعيدة على ان الهدف غالبا ما تتم رؤيته فعلا لكن الهدف هذا غالبا ما يحث على ظهور بيانات تبدو غير ملائمة . . . ويبدو ان من المعقول ان نفترض اننا نتعامل مع نوع من وضائف التحليل الآلية وان هذه هي مصدر المعلومات الخاطئة أو المشوشة[١].

اكتفي بهذه المقدار في بعض حالات الجلاء البصري لأن فيما ذكر كفاية على ان المسألة يتعامل معها على محمل الجد في أعلى المستويات.

وأذكر بعض النماذج عن ظاهرة الخروج من الجسد بعضها من الكتاب المذكور يقول:

تقول وكالة استخبارات الدفاع ان من اغرب التهديدات هو التكنيك المسمى بالاختراق apport وهو شكل من اشكال النقل الكوكبي يستطيع الشخص ذو القدراة النفسية الخارقة ان يحول طاقته إلى موقع بعيد ثم يحول موضوعا مادياً إلى حالة اللامادية ثم يستعيده، وقول تقرير الوكالة ان ظاهرة الاختراق حيث تمر الأشياء المادية من خلال جدران صلبة قد لوحظت وتاكد من صحتها عدد من أكبر علماء العالم من بينهم الكيمياوي والفيزياوي السير وليام كروكس (١٨٣٢ ـ ١٩١٩): اني (وليام كروكس) رأيت أكثر من مرة جسما يتحرك ثم تتكون من حوله سحابة مضيئة ثم تتكثف السحابة متخذة شكل ذراع كاملة . . . وهي ليست دائماً مجرد شكل بل تبدوا أحياناً

(١) نفس المصدر ص١١٣.

مفعمة بالحياة وتتحرك اصابعها ويكون لحهما طريا مثل لحم كل من في الغرفة، وهي عند الرسغ تكون ضبابية وتتحول إلى سحابة مضيئة، وعند لمسها تبدوا أحياناً بأردة ميتة ودافئة حية في أحيان أخرى تقبض على يدي بقوة كأنها يد صديق قديم[١].

وفي كتاب ظواهر الخروج من الجسد يذكر الدكتور رؤوف عبيد حالات عديدة لهذه الظاهرة منها:

حالة جرت احداثها ابتداءا من سنة ١٨٤٥ ولمدة عدة سنوات ونشرت في العديد من مراجع البحث الروحي، وتناولها الرائد الروحي المعروف والوزير الكساندر اكزاكوف في مؤفله عن (الحيوانية والروحية) قائلا إنه كان يوجد معهد للبنات النبيلات بالقرب من ريجا في ليفونيا على بعد اميال قليلة من مدينة فولمار وكان مديره يدعى السيد بوش، وبين المدرسات كانت توجد آنسة فرنسية تدعى أملي ساجيه من مواليد ديجون وكانت في الثانية والثلاثين من عمرها ... وبعد التحاقها بأسابيع قليلة ابتدأ الروات يتضاربون حول مكان وجودها، فإذا قال احدهم إنه شاهدها في مكان معين من المبنى اكد أخر إنه شاهدها في مكان أخر في نفس اللحظة .... وذات يوم رأت الطالبات آنستين متلاصقتين في شكل أميلي عند السبورة السوداء وتقومان بنفس الحركات لكن الانسة الحقيقية كانت وحدها تمسك بالطابشيرة في يدها أما المقابل فلم يكن بيده شيء واكتفى بتقليد حركات الأصل التي كانت تصدر منه في اثناء الكتابة، وأكدت جميع الطالبات بلا استثناء انهن رأين الشكل الثاني واتفقن جميعا حول وصف الظاهرة، وكان من بين الطالبات الابنة الثانية للبارون جولدن شتيوب وكانت في الثالثة عشر من

(١) نفس المصدر ص٧٠.

عمرها وكان والدها معنيا بدراسة الظواهر غير الألوفة لذا اشترك في التحقيق، وفي مرة أخرى شاهدت التلميذات وعددهن ٤٢ مجتمعات مدرستهن تجمع الزهور في الحديقة و(مقابلها) يجلس معهن في قاعة للخياطة واشغال الابرة وكانت مدرستهن تسير متثاقلة كما لوكانت تغالب النعاس . . . وقام بعض الطالبات بسؤال الانسة عما جرى لها فأجابت بأنها عندما كانت في الحديقة شاهدت منظر كرسيها خاليا فقالت لنفسها ان البنات سيضيعن وقتهن، ويرتكبن بعض الحماقات، ومن ثم راودتها رغبة الاشراف عليهن وهذه الرغبة دفعت (بالمقابل) إلى كرسيها.

وكانت هذه الظاهرة تتكرركثيراً ساعات مشاغلها وانهماكها في العمل وتنقطع أحياناً لمدة اسبوع أو عدة اسابيع تقول ان شخصها كان يضعف أو يقوى بمقدار ما كان المقابل يزداد وضوحا أو يختفي، وعندما وصلت الانباء إلى اولياء أمور الطالبات شاهد بعضهم نفس الظاهرة وسحب بعضهم بناته من المدرسة حتى لم يتبق منهن غير ١٢ طالبة فقط، وفي النهاية فصلت الانسة من المدرسة واتضح ان هذه الظاهرة كانت تحدث معها في كل مدرسة عملت فيها من قبل إلى حد أنها فصلت ١٩ مرة من عملها لنفس السبب[١].

وحالة أخرى للدكتور هر بيكر استاذ الرياضيات في روستوك، الذي يقول إنه ذهب إلى مكتبه بحثا عن مرجع معين لحسم مناقشة في اللاهوت جرت بينه وبين بعض اصدقائه، فوجد مقابله الخاص جالسا على نفس الكرسي الذي كان معتادا على الجلوس عليه ولما اقترب من الطيف نظر من فوق كتفه فشاهد الانجيل مفتوحا على التحذير الذي يقول: (دع منزلك

(١) ظواهر الخروج من الجسد ص١٣٨ ـ ١٤٠.

منظما لإنك سوف تموت ولا تحيا) فتشائم بيكر وعاد إلى اصدقائه الحاضرين راويا لهم ما حدث ومعبرا لهم عن مخاوفه من قرب وفاته، وحاولوا عبثا ان يزيحوا مخاوفه وفي اليوم التالي توفي بيكر في الساعة السادسة مساءا.

وحالة مماثله رواها ستيلنج ـ وهو استاذا بجامعة ماربورج وعالما روحيا ـ عن ضابط شرطة بمدينة فايمر بالمانيا يدعى تربلين، توجه إلى مكتبه بحثا عن مستند هام، فشاهد (مقابله) جالسا على كرسيه وإمامه المستند المطلوب، فعاد مذعوراً على عجل، وبعد ان هدأ قليلا كلف خادمته ان تذهب إلى المكتبه وتأتي بالورقة التي تجدها على مكتبه، ولما توجهت شاهدت (مقابل) سيدها في نفس مكانه فخيل إليها ان سيدها قد استبطأها فحضر بنفسه لاحضار الورقة.

ويذكر عن الشاعر والروائي الالماني الشهير جوته أيضاً إنه شاهد (مقابله) يسير معه في طريق ستراسببورج عندما كان قافلاً من زيارة، وكانت معه صديقته فردريكا التي اشتركت في الرؤية[١].

ويذكر حالات متعددة للظاهرة، ويذكر ان الكتور سولييه وضع بحثا بعنوان (رؤية الذات الداخلية) وقد اورد في بحثه اختبارت متنوعه من هذا النوع مرت بالاطباء لاسيج وفيريه وروجينوفتش وليميتر، ودسته من اختبارات مرت به شخصيا[٢].

ويذكر حالات عديدة وبحوث ودراسات اكتفي بهذا القدر، والوجه

(١) مصدر سابق ص١٤٠ ـ ١٤١.
(٢) نفس المصدر ص١٤٢.

في ذكر حالات الخروج من الجسد سيتضح ان شاء الله عندما نبحث حالات تمثل وظهور الحقائق ويتبين وجه المشابهة بينهما.

وأخيراً اكرر على اني ذكرت هذه الحالات من أجل ان يكون البحث فيه جنبة علمية تجريبة على بعض الحالات المشابهة للإدراكات الملكوتية، ومن أجل كسر الاستبعاد في نفوس بعض القراء عندما يطلعوا على بحوث مشابهة تهتم بها جهات متعدده علمية وسياسية وعسكرية، وليس الغرض من ذكرها هو الاستدلال بها.

❊ ❊ ❊

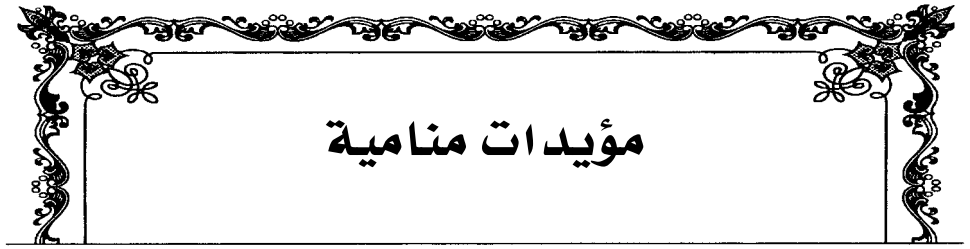

مؤيدات منامية

ذكرنا فيما سبق علم الساي وتبين لنا منه شواهد على وجود قوى إدراكية للإنسان وراء حواسه الظاهرة والان نذكر شواهد أخرى على ذلك وهي، من الشواهد الواضحة جداً التي هي متوفرة وحاصلة عند كل فرد من أفراد الإنسان تقريباً على وجود قوى مدركة وراء هذه الحواس الظاهرة هو مايحصل للإنسان في حال النوم من الرؤى والأحلام والمنامات المتنوعة فإنه ما من أحد إلا وقد شاهد من نفسه شيئاً من الرؤى والأحلام، وبغض النظر عن صدقها وكذبها أو قبولها أو ردها، فهي وأن حكم بعض الباحثين من علماء الطبيعة من أنها ليس لها حقيقة وليس لها أي وزن علمي.

فإن تكذيب الرؤى وعدم مطابقتها للواقع شيء، وما نريد ان نجعله شاهد على القوى الإدراكية شيء أخر.

فنحن هنا لا نريد الحديث عن الرؤى التي يشاهدها النائم وما هي أسبابها وكيف تحصل للإنسان، وهل كل ما يراه له حقيقة أو ليس له حقيقة؟ وهل يطابق الواقع أو لا؟ وهل يمكن الاعتماد عليها أو لا يمكن الاعتماد عليها؟ فأن جميع ذلك مما لا دخل له فيما نريد ان نجعله شاهداً على وجود الإدراكات، فسواء كان سبب الرؤية عوامل خارجية أو عوامل داخليه أو شيء ورائها فهذا لاعلاقة لنا به، فمن انكر حقيقة الرؤيا وفسرها بتفسيرات فسيولوجية أو سايكولوجية أو أي شيء أخر فإنه لايضر بالاستشهاد بالرؤى

في بحثنا، هذا لاننا نريد ان ناخذ من الرؤى والمنامات النتيجة فقط من دون ملاحظة أسبابها وواقعها وانها تحكي عن شيء أولاً تحكي عن شيء أصلاً؟

والمراد من نتيجة المنامات ان كل شخص يرى في عالم الرؤيا أشياء كثيرة جداً سواء كانت تلك الأشياء على غرار ماهو موجود في الواقع اوليس كذلك، فهو يعيش في عالم الرؤيا كأنه عالم حقيقي بكل معنى الكلمة، ولا يعلم بإنه منام الابعد ان يصحو منه، فهو يرى ويسمع ويشم ويتذوق ويلمس، كما إنه يخاف ويحزن ويسر ويفرح فيحصل له في منامه كل تلك الأحوال والإدراكات.

فأقول ان القوى البدنية والحواس الظاهرية الخمس هي معطلة اثناء النوم وليس شيء منها هو الذي يستعمل في الرؤى والمنامات، ومع ذلك فالحواس الخمس تعمل، اقصد المدركات التي هي وراء الحواس الظاهرية.

فكم يرى النائم من مناظر جميلة وخلابه ووجوه مليحة، وجمال يسلب العقل، كما إنه يرى أمور قبيحة لايستطيع مواجهتها والتطلع فيها، وكذلك يسمع الأصوات سواء كانت الحانا تشدو وتطرب لها النفس ويهتز لها الكيان أو كانت أصواتا تصم منها الاذان، وكذلك يتذوق الطعوم ويشم الروائح العطرة أو المنفرة، أو يلمس الحار والبارد أو الناعم والخشن، وكل ذلك والجسم في سبات ليس له دخل فيما يجري في عالم المنام.

بل في كثير من الأحيان الحواس في المنام تكون أشد منها في اليقظة، اذن هناك حواس ومدركات للإنسان وراء هذه التي في البدن التي يرى بها الأمور المادية، بل تلك في عالم أخر يدرك بها أشياء وراء هذه الأمور المادية، سواء كانت تلك الأشياء لها واقع أو هي من اختراعات

النفس ودعابات المتخيلة، لا فرق فهي من حيث المشاهدة واحدة بالنسبة للرائي، وفي هذه الرؤى والمنامات نافذة للإطلاع على العوالم الأخرى بحسب الوسع والطاقة والاستعداد الذي للنفس، فإن النبوات والاعلامات الغيبية كثرا مايكون طريقها عالم الرؤى والمنامات، يعني لا تكون الحواس الظاهرة هي الطريق لكشف الحقيقه عند الأنبياء والأولياء، بل يكون الطريق هو تلك الحواس الباطنة، فهي وسيلتهم للإطلاع على عوالم الغيب، بل ان الأنبياء والأولياء تعمل عندهم تلك الحواس الباطنة ليس فقط في حالة النوم، بل في اليقظة كذلك. فإن النوم ليس هو السبب الرئيس لعمل تلك القوى الإدراكية، بل السبب هو الانقطاع عن الشواغل المادية والتعلقات الطبيعية، فالانقطاع هو الذي يؤدي إلى فتح وأعمال تلك الحواس الباطنة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾[1].

فأبراهيم عليه السلام اطلعه الله على الملكوت وهو باطن اوغيب السموات والأرض، وتلك الرؤية لم تكن ببصره بل ببصيرته كما سوف نبين ان شاء الله تعالى.

والإطلاع على بعض المراتب لتلك الحقائق من خلال القوى الباطنية يسبب حصول اليقين كما ذكرت الآية المباركة.

هذا فيما يختص الإطلاع على تلك العوالم في غير حال النوم وسيأتي تفصيله أكثر بعونه تعالى.

أما بالنسبة إلى المنامات فقد ذكر القرآن لنا العديد منها وهي كالتالي:

منها في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ

(١) سورة الإنعام، الآية: ٧٥.

يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾[1].

فهذا المنام حصل لإبراهيم الخليل عليه السلام، ومن خلاله حصل له العلم القطعي الذي لا يقبل الشك بما يراد منه، بحيث أقدم على أساس هذه الرؤيا إلى ذبح فلذة كبده وولده الذي انتظره طويلاً، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾[2].

فأي علم حصل لإبراهيم عليه السلام بحيث أوصله إلى ان يضحي بأبنه؟ وأي درجة من اليقين هذه التي حصلت من خلال رؤية منامية؟

فأنه في كثيرمن الأحيان عندما يطلب من أحد أمراً من الأمور في حالة اليقظة يشكك في الطلب ويحاول تأوليه بأوجه متعددة،ويريد ان يتفصى عن الامتثال، خصوصا إذا كان الطلب ثقيلا على النفس، ويقول لعل الآمر ليس جادا في طلبه، أو إنه السامع وقع في خطا في سماع الأمر اوغير ذلك كل هذا حتى لا يمتثل لذلك الطلب، مع إنه شاهد الآمر وسمع كلامه في اليقضة وليس في حالة النوم ومع ذلك ييشكك في طلبه، اوفي كثير من الأحيان حتى لو تيقن بإنه طلب منه تنفيذ أمر ولكن مع ذلك لا يمتثله.

إما إبراهيم عليه السلام رأى الطلب من خلال منام أوصله إلى اليقين بأن الله يريد منه ذلك، حتى إنه طرح ابنه أرضا ووضع السكين على رقبته امتثالاً لما

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠١ ـ ١٠٥

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.

أمر به، ولما علم الله منه الصدق في امتثال الطلب من عليه برحمته وفداً الولد بذبح عظيم.

فهذا منام ذكره القرآن حصل لنبي من الأنبياء عليهم السلام رأى فيه إنه يذبح ولده، وهذه ليس رؤية من البصر بل هي رؤيا بحاسة غير البصر.

ورؤية أخرى يذكرها القرآن الكريم هي لنبي الله يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾[1] هذا رؤيا حصلت لهذا النبي وهو في صباه ولم يكن بالغا بعد واثرت فيه وتيقن منها، وقصها على ابيه النبي فعلم يعقوب عليه السلام ان ليوسف شأن عند الله، وعلم ان الشمس والقمر والكواكب هم أهل بيته ومن ضمنهم ابوه وهو نبي ومع ذلك يسجد ليوسف عليه السلام فعلم يعقوب عليه السلام إنه ستكون ليوسف ولاية عليه، لذا أمره ان لا يقص هذه الرؤيا على إخوته وهم أصلاً يكنون له العداء، فإنه إذا قصها عليهم سيفهمون منها إنه سيكون ليوسف عليه السلام شأن عند الله.

والقرآن يقص علينا ان تلك الرؤيا قد تحقق مدلولها وانها رؤيا حقة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ﴾[2].

وحصلت رؤيا للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها القرآن يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾[3].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

فانه رأى ﷺ بنو امية ينزون على منبره كما تنزوا القردة، وتحققت رؤية النبي ﷺ فقد وردت روايات كثيرة في ذلك أذكر واحد فقط منها وهي:

روى ابن مردويه عن عائشة: أنها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله ﷺ يقول لابيك وجدك إنكم الشجرة الملعونة في القرآن[١].

ورؤيا أخرى رآها النبي الكريم ﷺ يقول تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾[٢].

هذه الرؤى وردت في القرآن الكريم فيما يخص الأنبياء عليهم السلام، وكما قلنا ان أكثر وحي النبي هو ما يراه في النوم كما وردت في ذلك روايات تبين الفرق بين النبي والرسول منها هذه الرواية وهي:

عن زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث، فقال: الرسول هو الذي يأتيه الملك فيحدثه ويكلمه كما يحدث احدكم صاحبه، والنبي الذي يؤتى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، قال قلت وما علم ان الذي رأى في المنام حق؟ قال بينه الله حتى يعلم إنه حق وينزل عليه، وقد كان رسول الله ﷺ نبيا، والمحدث يسمع الصوت ولا يرى شيئاً[٣].

فالأنبياء كانوا يرون الملك ويسمعونه ولكن في المنام، وورد إنه يراه

(١) تفسير الميزان ج١٢ص٦٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.
(٣) بصائر الدرجات ص٣٨٩.

في اليقضة كذلك، كيف ومريم ابنت عمران ليست بنبية وقد حدثنا القرآن عنها أنها رأت الملك في اليقضة وتمثل لها بشراً سوياً.

وعلى أي حال فإن النبي يرى سواء كان في النوم أو اليقضة ويسمع ولكن لا بسمعه الحسي بل بمدارك قلبه فقد ورد عنه ﷺ (تنام عيني وقلبي يقضان)[١].

فلم يكن الأنبياء عليهم السلام يتلقون الوحي بحواسهم الظاهرية، وإنما يأخذونه عن طريق القلب، فالقلب هو الذي يرى وهو الذي يسمع كما يقول سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾[٢].

فلو لم يكن في القلب مشاعر يدرك من خلالها الملك والوحي، لكان تلقي الوحي عن طريق الحواس الظاهرية، التي لا يختلف فيها الأنبياء عن غيرهم من الناس، هذا بالنسبة إلى رؤى الأنبياء عليهم السلام.

أما رؤى غير الأنبياء فيذكر القرآن بعضا منها ويذكر أنها وقعت وانها رؤى صادقة، وان قلنا في أول البحث نحن لا نحتاج إلى ان تكون الرؤيا صادقة في بحثنا، بل يكفي حصولها فقط، والقرآن اضافة إلى حصول الرؤى يذكر حقانيتها وصدقها.

منها، ما ذكره تعالى لملك مصر ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[٣].

---

(١) الاحتجاج جا ص٤٨.
(٢) سورة النجم، الآيات: ١١ ـ ١٤.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

فهذه الرؤيا حصلت مكررا لملك مصر كما يستفاد ذلك من قوله (أرى) واقلقت الملك بحيث اخذ يبحث عن تعبير لهذه الرؤيا، وجمع الملأ عنده وطلب منهم ان يعبروا له رؤياه، حتى اولها له نبي الله يوسف عليه السلام واخبره بما يحصل في مملكته، ووقعت كما رأى.

ويذكر القرآن صاحبي يوسف عليه السلام في السجن حيث راى كل منهما رؤيا وطلبا من يوسف عليه السلام ان يعبر لهما ما رأياه.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[1].

وقد اخبرهما بتأويل رؤياهما وانها سوف تتحقق لا محال قال: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[2].

هذا ما أردنا ذكره من المنامات والرؤى لتاييد ما نريد اثباته من الإدراكات الباطنه، وتبين لنا إنه في عالم الرؤيا والمنام يحصل للإنسان إدراك فهو يرى ويسمع ويشم ويذوق ويلمس، وكل واحد من الناس يرى في منامه رؤى وأحلام ويدرك ويفعل وينفعل،ويتألم ويلتذ ويفرح ويحزن وتحصل له حالات نفسية متعددة وأغلبها تحصل له بسبب مايراه أو يسمعه أو يشمه أو يذوقه أو يلمسه، ولكن ليس بحواسه الظاهرة بل بحواس تعمل عنده في النوم فقط، وبغض النظر عن انطباق مارآه في النوم على الواقع

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٤١.

حال اليقضة فانا قلنا هذه الجهة لاعلاقة لنا بها، والكلام عن الرؤى طويل الذيل سواءا كان الكلام في مناشئها وكيفية حصولها أو في المنامات التي حصلت للناس وتحققت في الواقع ولكن نحن اقتصرنا في ذكر الرؤى على ما جاء في القرآن الكريم فقط، لأنه لاسبيل لمسلم إنكار ما جاء في القرآن لأنه قطعي من حيث السند.

واما الروايات في ذلك فهي كثيره، وحكايات الناس عما يرونه ويلمسون تحققه من الرؤى في حياتهم فوق حد الاحصاء، لا ينكر ذلك إلا مكابر. وفي أخر هذا البحث أذكر للفائدة كلاما للعلامة الطباطبائي في تفسيره القيم الميزان عن الرؤى والمنامات قال:

وللرؤيا حقيقة ما منا واحد إلا وقد شاهد من نفسه شيئاً من الرؤى والمنامات دله على بعض الأمور الخفية أو المشكلات العلمية أو الحوادث المستقبلية من الخير والشر، أو قرع سمعه بعض المنامات من هذا القبيل، ولا سبيل إلى حمل ذلك على الاتفاق وانتقاد أي رابطه بينهما وبين ما ينطبق عليها من التأويل، وخاصه في المنامات الصريحة التي لا تحتاج إلى تعبير.

نعم، لا سبيل أيضاً إلى إنكار ان الرؤيا أمر إدراكي وللخيال فيها عمل والمتخيله من القوى الفعاله وإنما ربما تدوم من جهة الانباء الوارد عليها من ناحية الحس كاللمس والسمع وربما تاخذ صوراً بسيطة أو مركبة من الصور والمعاني المخزونة عندها، فتحلل المركبات كتفصيل صورة الإنسان التامة إلى رأس ويد ورجل وغير ذلك، وتركب البسائط كتركيبها إنساناً مما اختزن عندها من اجزاءه واعضائه، فربما ركبته بما يطابق الخارج وربما ركبته بما لا يطابقه، كتخيل إنسان لا رأس له أو له عشرة رؤس، وبالجملة للأسباب والعوامل الخارجيه المحيطة بالبدن كالحر والبرد ونحوها، والداخلية

الطارئة عليه كأنواع الأمراض والعاهات وانحرافات المزاج وامتلاء المعدة والتعب وغيرها، تاثير في المتخيلة فلها تاثير في الرؤيا، فترى ان من عملت فيه حرارة أو برودة بالغة يرى في منامه نيرانا مؤججه أو الشتاء والجمر ونزول الثلوج وان من عملت فيه السخونة فالجمه العرق يرى الحمام وبركان الماء ونزول الامطار ونحو ذلك من انحرافات مزاجه وامتلاء معدته يرى رؤى مشوشه لا ترجع إلى طائل.

وكذلك الاختلاف والسجايا شديدة التاثير في نوع تخيله، فالذي يحب إنسان لاينفك يتخيله في يقضته ويراه في نومه، والضعيف النفس الخائف الذعران إذا فوجئ بصوت يتخيل اثره أمور هائله لا إلى غاية، وكذلك البغض والعداوة والعجب والكبر والطمع ونظائرها، كل منها يجر الإنسان إلى تخيله صور متسلسله تناسبه وتلائمه وقل ما يسلم الإنسان من غلبة بعض هذه السجايا على طبعه، ولذلك كان أغلب الرؤى والمنامات من التخيلات النفسانية التي ساقها إليه شيء من الأسباب الخارجية والداخلية الطبيعية والخلفية، فلا تحكي النفس في الحقيقة إلا كيفية عمل كل تلك الأسباب واثرها فيها فحسب، لا حقيقة لها وراء ذلك، وهذا هو الذي ذكره منكروا حقيقه الرؤيا من علماء الطبيعة لا يزيد عن تعداد هذه الأسباب المؤثره في الخيال العمالة في الإدراك.

ومن المسلم ما اورده غير إنه لا ينتج إلا ان كل الرؤيا ليس ذا حقيقة وهو غير المدعى، وهو ان كل منام ذا حقيقة، فإن هناك منامات صالحة ورؤيا صادقة تكشف عن الحقائق ولا سبيل إلى إنكارها ونفي الرابطة بينها وبين الحوادث الخارجيه والأمور المستكشفة.

فقد ظهر مما بيننا ان جميع الرؤى لا تخلو من حقيقة بمعنى ان هذه

الإدراكات المتنوعة المختلفة التي تعرض في النفس الإنسانية في المنام وهي المسمات بالرؤى لها أصول وأسباب تستدعي وجودها للنفس وظهورها للخيال وهي على اختلافها تحكي وتمثل بأصولها وأسبابها التي استدعتها فلكل منام تأويل وتعبير، غير ان تأويل بعضها السبب الطبيعي العامل في البدن حال النوم وتأويل بعضها السبب الخلقي وبعضها أسباب متفرقه اتفاقية[١].

❊ ❊ ❊

(١) تفسيرالميزان ج١١ص٢٧٠.

حقيقة الإنسان

تبين لنا فيما سبق ان هناك نوعا أخر من الإدراكات للإنسان وليس فقط هذه الحواس الظاهرية، أو العقلية، هنا نريد ان نبين ان حيقيقة الإنسان هي الإدراك، وحتى يحصل ابن آدم على مرتبة إنسانيته لابد ان لا يكتفي بهذه الحواس الخمس الظاهرية، فإن الحيوان له هذه الحواس أيضاً ولافرق من هذه الجهة بينه وبين باقي الحيوانات التي لها هذه الحواس، فإذا أراد ان يرتفع عن رتبة الحيوانية إلى رتبة الإنسانية لا بد له ان يعمل الحواس الأخرى التي يختص بها هو ولا يمتلكها باقي الحيوانات، أما إذا لم يعملها فإنه لا يكون هناك مائز بينه وبينها، بل ينزل عن رتبة البهيمة لأن البهائم أعطيت حواس وانتفعت بها، أما الإنسان أعطي حواس ولم ينتفع بها لذا قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1] فليس فقط نزل عن رتبة الإنسانية بل حتى عن رتبة الحيوانية فيكون في رتبة النباتية التي لها النمو ولكن لاحس لها.

من خلال هذه الآية المباركة نصل إلى حقيقة مهمة، وهي ان إنسانية الإنسان انماتتحقق في أول مرتبة لها من خلال العقل والإدراكات العقلية التي هي غير موجودة عن الحيوان فهذه أولى مراتب الإنسانية، وهي ان يكون العقل هو الحاكم وبيده زمام أمور النفس، ووراء هذه المرتبة مراتب

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

أخر وهي تتعلق بالقلب وإدراكاته من عين القلب وسمع القلب، فإذا كان العقل أسير والهوى أمير ومات القلب وطمست حواسه ولم ينتفع بها لم يدخل حريم الإنسانية وليس هو بإنسان واقعا وان كان مظهره الخارجي بهيئة إنسان، فمدار الإنسانية في الحقيقة على الإدراك، لذا ورد في فضل العلم ما يفوق حد الاحصاء لأن إنسانية الإنسان تتحقق وتتسع بالعلم والإدراك المستتبع للعمل، لذا قرن الله تعالى اولو العلم بنفسه في الشهادة له بالوحدانية قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[1] فاولوا العلم هم الذي تجاوزا المراتب الدانية وارتقوا في إنسانيتهم درجات لذا عرفوا الله، فشهدوا له بالوحدانية وحصلت عندهم الخشية من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2].

تجلى لهم الخالق فعرفوا قدره فعظم في نفوسهم وصغر ما دونه في اعينهم رأته قلوبهم وسمعت كلامه وناجاهم في سرائرهم وجعل لهم نوراً يمشون به بين الناس.

فالإنسان حينما يولد ليس هو إنسان فعلا لأنه ليس له عقل فعلا وإنما يدير أمور معيشته من خلال غرائزه المودعه فيه وهو بهذا الأمر لايفرق عن باقي الحيوانات بشيء لأنها تدبر أمورها من خلال الغرائز المودعه فيها.

نعم، يختلف عن باقي الحيوانات بأن له القابلية والاستعداد والقوة على ان يتجاوز رتبة الغريزة إلى الحياة العقلية الإنسانية، التي من خلالها يستطيع التميز بين المصالح والمفاسد والمنافع والمضار.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

وليس أي تميز كان فإن بعض الحيوانات تستطيع ذلك فتستعمل المكر والخداع للدفاع عن نفسها أو لكسب رزقها، فالإنسان عندما يكون عند هذا المقدار من التمييز فهذا لا يجعله إنساناً، بل هو باق على رتبة الحيوانية، بل ادنى منها كما ذكرت الآية المباركة، وعلى هذا تكون إنسانية الإنسان أو عبر عنها حقيقة الإنسان إنما تحصل من خلال العلم، وبما ان العلم له درجات لاحد لها ولا حصر كما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] وقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢] فستكون الإنسانية كذلك لها درجات كثيرة.

عرف المناطقة الإنسان بإنه حيوان ناطق والمراد من النطق هو الإدراك كما هم يفسروه، يعني ان الإنسان هو ذات عين حقيقتها هو الإدراك فإن الإنسان من حيث البدن يشترك مع الجمادات ومن حيث النمو يشترك مع النباتات ومن حيث الاحساس يشترك مع الحيوانات وهو بهذه الحيثيات الثلاثه لاتتحقق إنسانيته، وإنما تتحقق الإنسانية بالإدراك بالفعل لا بالإدراك بالقوة، فإن كل إنسان يولد وهو فيه قوة الإدراك، وحتى يكون إنساناً، لا بد ان يخرج تلك القوه إلى الفعلية قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[٤].

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

فالآية الأولى تصرح ان الله أخرج الإنسان من بطن امه لايعلم شيئاً وأعطاه أدوات العلم والمعرفة لكي يستثمرها ويحقق إنسانيته من خلالها بالحصول على العلم والآية الثانية تحط من رتبة أولئك الثلة من الناس تحت رتبة البهيمية، كل ذلك بسبب إنه غفل عما أعطي له من الوسائل والالات ولم ينتفع بها حتى يحصل على العلم ويكون سبب نجاته.

يتضح من خلال ذلك ان جوهر وحقيقة الإنسان هو العلم والإدراك والمراد من العلم ليس هو العلم الجزئي الذي هو موجود عند الحيوان كذلك، بل هو العلم بالكليات وهي مرتبة العقل، وهذا هو أول مراتب الإدراك الإنساني، فإن الإدراك تارة يكون من خلال العلم الحصولي وهو الذي يفيد علم اليقين وأخرى من خلال العلم الحضوري وهو الذي يفيد عين اليقين أو حق اليقين، وأول مراتب الإنسان هو علم اليقين وكلما اتسعت دائرة العلم تتسع دائرة الإنسانية، لأن الإنسانية هي العلم وأما الاحساس والنمو والجسمية فليس هي داخلة في حقيقتة هذه المرتبة من الوجود، فحينما نبحث عن نوع من أنواع العلم والإدراك فأنا في الحقيقه نبحث عن مرتبة من مراتب الإنسانية.

يقول حسن زاده في عيون مسائل النفس في العين التاسعة والعشرون: ان الإدراك منوع ومعناه ان الجوهر النفساني مادة للصور الإدراكية وان ذلك الجوهر يتحصل بتلك الصور الإدراكية جوهرا أخر كماليا بالفعل من الأنواع المحصلة التي يكون لها نحو أخر من الوجود غير الوجود الطبيعي الذي لهذه الأنواع المحصلة الطبيعية، كما هو مبرهن في الحكمة المتعالية[١].

❊ ❊ ❊

(١) عيون مسائل النفس ص٥٥٩.

الحواس الباطنة

من البين ان هناك حواس ظاهرة وهي خمس، وهناك حواس باطنة وهي خمس كذلك، ولكن قد تطلق الحواس الباطنة ويراد منها الحس المشترك، والخيال، والواهمة، والحافظة، والعاقلة، وهذا ما يذكر في علم المنطق وفي كتب الفلسفة.

والحس المشترك هو أول القوى الباطنية التي تقوم بتاليف ماجاء من الحواس الخمس، فانت لما ترى شخصا فكل حاسة من حواسك الخمس تدرك منه شيئاً، العين تدرك هيئته ولونه، ولاذن تدرك الصوت، ولأنف الشم، وهكذا، فهذه المدركات تاتي متفرقة إلى الذهن، والذي يقوم بتوحيدها ويقول ان هذا الشيء الذي لونه اسود هو الذي طعمه حلو ورائحته عبقة وملمسه ساخن، على سبيل المثال فانت لو سئلت عن الشاي لقلت لونه كذا وطعمه كذا وريحه كذا ملمسه كذا، من الذي وحد هذه الإدراكات وجعلها لشيء واحد؟

القوة التي تقوم بضم الصوت إلى الصورة والى الملمس والى الذوق والى الشم هي التي تسمى بالحس المشترك، فهو كالحوض الذي تصب فيه خمس جداول، هذه أولى الحواس الباطنة.

والحاسة الثانية هي الخيال وهذا الخيال هو صندوق حفظ صور الحس المشترك، لأن الحس المشترك وظيفته التجميع فقط ويوحد ماجاء من

سائرالحواس، والقوة التي تقوم بحفظ ماجمعه الحس المشترك هي قوة الخيال، فهو يحفظ الصور ويعطيها للذهن متى ما أراد استرجاعها، فإذا أردت ان استذكر التفاحة مثلاً استخرج صورتها التي معها رائحتها المخصوصة ولونها وملمسها الخاص من الخيال وآتي بها مرة أخرى إلى الحس المشترك كي اتخيلها.

والحاسة الثالثة هي الوهم، وهي القوة، التي تدرك المعاني الجزئية، والمعاني هي أمور لا تدرك بالحواس الخمس، من قبيل الاحاسيس النفسية كحبي لابي وابني وسروري بحصول الأمر الفلاني وبغضي لزيد، فالذي يقوم بإدراك هذه المعاني الجزئية هو الوهم، وهذه المدركات أيضاً تحتاج إلى صندوق حفظ من أجل استعادتها متى ما أردتها، وصندوق الحفظ للمعاني الجزئية هو الحافظة، وهي القوة الرابعة من القوى الباطنية.

واما الحاسة الخامسة فهي القوة العاقلة، وهي التي تقوم بإدراك الكليات من الأمور، يعني تقوم بتجريد الصور الموجودة في الخيال وهو حافظة الحس المشترك، وتجريد المعاني الجزئية الموجودة في الحافظة التي هي حافظة الوهم المدرك للجزئيات، وتجعلها معاني كليه فتقول عندي إنسان وكتاب وحب وبغض وغير ذلك فهذه مفاهيم كلية جردت من خصوصياتها الجزئية التي كانت في الصور وكانت لا تنطبق إلا على مصداق واحد أصبحت بعد التجريد تنطبق على أفراد متعدده، وهذا هو معنى التعميم، يعني بعد ان كانت الصورة الذهنية خاصة بفرد جردت عن خصوصياتها فأصبحت تنطبق على كثيرين، فهذه المفاهيم الكلية هي مدركات العقل، وبهذا النوع من الإدراك يمتاز الإنسان عن الحيون، أما باقي الحواس فيشترك بها مع الحيوان.

فهذه يطلق عليها الحواس الخمس الباطني، وهناك اطلاق أخر

للحواس الباطنية فقد تطلق على السمع والبصر والشم والذوق واللمس، ولكن من غيران تستعمل هذه الالات الحسية، يعني ان كل إنسان في حال النوم جميع قواه الخمس في حالة ركود، ولكن مع ذلك في حالة المنامات والرؤى يرى ويسمع ويشم ويلمس، فهذه التي استعملها في الرؤيا ليست هي التي يستعملها في يقضته، لانها راكدة في حال النوم، كما ذكرنا فيما سبق، ويطلق عليها الحواس الخمس الباطنية، لذا يقول الحكيم السبزواري تعليقته على الاسفار ان عالم الملكوت عالم تام فيه جميع ما هو في هذا العالم من المحسوسات الخمسه على وجه يليق بالملكوت لكن كل منها يوصل إليه بمشعر خاص من الخمسة المستنيرة بالمشاعر الملكوتية، فبقوته الباصرة يرى ما لا يرى أشخاص الإنسان الطبيعي ما هو طبيعي من المرئيات الملكوتية، وبسمعه يسمع ما لا يسمعون وبذوقه يدرك ما لا يذوقون[١].

فنحن حينما نطلق الحواس الباطنة في ثنايا البحث لا نريد منها الخمس الأولى، وهي الحس المشترك والخيال والوهم والحافظة والعاقلة، بل نقصد الباصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسة الباطنية، التي لا تستعمل العين والاذن والأنف والفم واليدين، بل تلك التي تعمل من دون استعمال الة البدن وهي التي تكون محور الحديث.

❊ ❊ ❊

(١) الحكمة المتعالية ج٣ ص٤٧ تعليقة رقم ١.

معنى القلب

كثيرة هي الآيات التي ورد فيها ذكر المشاعر الملكوتية، لانها هي الادوات التي يحتاجها الإنسان في طريقه إلى آخرته والعيش بها في ذلك العالم، كما ان هذه الحواس الظاهرة الخمسة هي التي يحتاج إليها الإنسان في هذه الدنيا ليعيش بها، نحاول ان نذكر ما ورد في الآيات القرآنية من تلك المشاعر ونبين ما ذكرته بالمقدار الممكن.

ولكن قبل ذلك لا بد من الالتفات إلى ان أكثر الآيات والروايات تنسب تلك الحواس إلى القلب والخلل الذي يصيبها فإنه يصيب القلب، لذا ورد ذكر القلب كثيراً في آلايات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[١] وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٢] و﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾[٣] و﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾[٤] و﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[٥] و﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٦] و﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٧] و﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.
(٥) سورة الانعام، الآية: ٢٥.
(٦) سورة الانعام، الآية: ٤٣.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٠٠.

قُلُوبُهُمْ﴾[١] و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٢] و﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[٣] و﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾[٤] وقال: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾[٥] و﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[٦].

هذه الآيات وغيرها كثير ورد نسبة أموراً كثيرة للقلب، ومن المؤكد ان مانسبته الآيات الكريمة من الأفعال والإنفعالات للقلب ليس المراد منه تلك العضلة الموجودة في صدر الإنسان، التي من وضيفتها ضخ الدم إلى باقي اعضاء البدن، بل القلب في الاطلاق القرآني يراد به النفس الإنسانية، فإن القلب وان كان هو مركز الإدراك في بعض المراتب للنفس الإنسانية، كما ان العقل كذلك مركز إدراك لبعض المراتب إلا ان الإدراك في الحقيقة هو للنفس، وما القلب إلا قوة من قوى الإدراك لدى النفس، فإنه كثيراً مانقول رأت عيني وسمعت اذني، وكذلك نقول رأيت وسمعت وشممت وتذوقت، فتارة ننسب الإدراك للقوة المدركة وأخرى ننسبه للنفس، فكما ان الإدراك الحسي مرة تنسبه إلى الآلة وأخرى للنفس كذلك الحال في إدراك القلب مرة تقول آمن قلبي وخشع ولان واحب وابغض، فهذه نسبة للقلب، وأخرى تقول آمنت وخشعت ولنت واحببت وابغضت.

فالنفس الإنسانية في الحقيقة هي الدراكة الفعالة، ولكن مرة من خلال القوى وآلالات، ومرة أخرى بنفسها، لذا تكون كلا النسبتين صحيحة نسبه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٦٣.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٢٥.

إلى الآلة ونسبة إلى النفس، هذا إذا قلنا ان النفس شيء والقوى شيء أخر، كما هو المشهورعند الحكماء قبل صدر المتالهين، أما على المبنى الذي ذهب إليه هو في مدرسة الحكمة المتعالية من ان القوى ليست هي شيء وراء النفس، بل هي عينها كما يقول الحكيم السبزواري: النفس في وحدته كل القوى وفعله في فعلها قد انطوى ويذكر أيضاً في هامش الحكمة المتعالية ان هاهنا أقوالا:

إحدها: ان النفس تدرك الكليات فقط ولا تدرك الجزئيات بل قواها تدركها، واسناد دركها إلى النفس بالمجاز من باب الوصف بحال المتعلق.

وثانيهاً: ان النفس هي المدركة بالحقيقة لها ـ أي الجزئيات ـ ولكنها منطبعة في القوى ودرك النفس لها حضوري.

وثالثهاً: ان النفس مدركه لها بأن القوى مراتب النفس فهي العاقلة والمدركة والمحركة انتهى[1].

يتبين من خلال هذا ان المدرك هو النفس الإنسانية بناءا على رأي مدرسة الحكمة المتعالية، وهو المبنى الحق لا شيء غيرها، فالنفس تارة تكون في مرتبة العاقلة فتدرك المفاهيم الكلية، وأخرى تنزل وتكون في مرتبة الحس فتدرك المحسوسات، وأخرى تتوسط فتكون في رتبة المتخيلة فتدرك المتخيلات.

وفي النتيجة النفس هي المدركة، لذا حينما نقوم بأي فعل أو يحصل لنا أي إنفعال ننسبه إلى النفس فنقول أنا عملت وأنا رأيت وأنا سمعت وأنا لمست وأنا أحببت وأنا بغضت وهكذا.

والقلب تارة يطلق على النفس بجميع مراتبها، وأخرى يطلق على

(١) الحكمة المتعالية جـ٤ ص٤٥١ هامش١.

مرتبة من مراتبها، وهذه المرتبة التي تسمى بالقلب وضيفتها الإدراك الحضوري، يعني ان المعلوم لنا تارة تحضر عندنا صورته وهو لا يحضر يبقى في موضعه، فانا حينما اعلم بهذا الكتاب ليس الكتاب يحضر عندي بنفسه وإنما الذي يحضر عندي هو صورة للكتاب، وهذه الصورة أولاً تكون في الحس المشترك ثم في الخيال ثم تجرد وتكون في العاقلة، وكل واحدة من هذه القوى هي مرتبة من مراتب الذهن المدرك عند الإنسان للعلوم الحصولية، وأخرى الذي يحضر عند العالم ليس هو صورة المعلوم بل نفس المعلوم يحضر عند العالم، من قبيل الجوع والشبع، فانك عندما تكون جائعا نفس الجوع يكون حاضرا عندك لا إنه عندك صورة عنه، نعم عندما تريد ان تخبر انك جائع أو بعد مايزول الجوع منك تبقى في ذهنك صورة للجوع أو الشبع، فالأحوال النفسية تكون حاضرة لدى النفس بذاتها لا بصورتها، أما ان هذا الحضور في أي مرتبة من مراتب النفس؟

نقول هذه المرتبة التي تحضر فيها نفس المعلومات بذواتها هي التي تسمى بالقلب، فالقلب تارة يطلق على جميع النفس بمراتبها، وأخرى يطلق على المرتبة المدركة للعلم الحضوري، والقرائن في سياق كلام المتكلم هي التي تبين هل ان المتكلم يريد من اطلاقة للقلب النفس أو يريد منها مرتبة من مراتب النفس.

إذا اتضح ذلك نقول ان ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الكثيرة في ذكر القلب وأحواله تارة يراد به النفس الإنسانية ككل، وأخرى يراد به تلك المرتبة من مراتب النفس، وهي المرتبة الخاصة.

وان قلنا إنه يمكن النسبة إلى النفس في كل الأحوال، لأن تلك المرتبة المدركة للعلم الحضوري هي نفس النفس في الحقيقة ولا شيء غيرها، وكذلك العقل والخيال والحس من مراتب النفس.

فحينما يذكر القرآن العمى للقلب والطبع والرين والريب والرضى والخشوع واللين والإيمان والاطمئنان، كل ذلك في الحقيقة يرجع إلى النفس، فالنفس أعطيت قوى تؤهلها للحياة سواء كانت الحياة الفانية الدنيوية، أو الحياة الباقية الاخروية.

ومن الضروري حتى تعيش النفس في عالم المادة لابد ان تعطي قوى تسانخ عالم المادة حتى يمكنها المعيشة في هذه الحياة، لذا أعطيت البدن وهذه الحواس الظاهرة، ولو لاحظنا الجنين في بطن امه نجد إنه أعطي هذه الحواس الظاهرية وهو في بطن امه، والحال إنه لا ينتفع بها في عالم الاجنة، ولا تعمل هناك أصلاً، لأن ذلك العالم لا تنفع معه تلك الحواس ولكن وضعت فيه لأنه سوف يخرج إلى عالم يحتاج فيه تلك الحواس لتدبير أموره، وبمجرد خروجه إلى هذا العالم تبدء جميع حواسه بالعمل السمع والبصر والشم والذوق واللمس، فإذا كانت إحدى هذه الحواس معطلة واصابها خلل في عالم الاجنه فلا يمكن للجنين بعد ولادته ان ينتفع بها في عالم الدنيا، كذلك الحال بالنسبة إلى الحواس الباطنة، يحتاج إليها في حياته الاخروية، فمن طمس هذه الحواس وهو في الدنيا ولم يهئ الأرضية اللازمة لفتحها وعملها فإنه يعيش في ذلك العالم من دون الحواس، ومعيشته في الاخره تكون عسيرة عليه جداً لذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1] فهؤلاء لما كانت حواسهم في الدنيا معيبة بسبب أعمالهم لم ينتفعو بها أصبحوا دون البهائم والباهئم أفضل حالا منهم، ولما كان هنا اتلف حواسه ففي

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

الأخرة لاتكون عنده هذه الحواس، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾[2].

❊ ❊ ❊

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

الفصل الثاني

١ ــ عالم المثال

٢ ــ تجسم الأعمال

٣ ــ ظهور وتمثل الحقائق

٤ ــ الرؤية القلبية القسرية

٥ ــ اخطاء الحواس الباطنة

عالم الملكوت

هناك اختلاف في عدد العوالم في ما سوى الله تعالى بين المتكلمين والفلاسفه من جهة، وبين الفلاسفة انفسهم من جهة أخرى، وبين الفلاسفة والعرفاء من جهة ثالثة.

أما المتكلمون فكثير منهم يعتقدوا ان العالم المخلوق هو واحد، وهو عالم مادي، ولكن أما مادي لطيف كالملائكة والجن، وأما مادي كثيف كعالم الطبيعة، والموجود المجرد عن المادة هو الله فقط لاغير.

واما الفلاسفة فبعض يعتقد ان العالم ثنائي يعني عالم المادة والطبيعة وعالم العقل المجرد، وبعض أخر منهم يعتقد ان العالم ثلاثي وهو وجود عالم متوسط بين عالم المادة وعالم العقول المجردة، وهو عالم المثال. يقول الطباطبائي في نهاية الحكمة: ان الوجود ينقسم من حيث التجرد عن المادة وعدمه إلى ثلاثة عوالم كلية:

أحدها: عالم المادة والقوة.

وثانيهاً: عالم التجرد عن المادة دون إثارها من الشكل والمقدار والوضع وغيرها فيه الصور الجسمانية واعراضها وهيئاًتها الكمالية من غير مادة تحمل القوة، ويسمى(عالم المثال) و(عالم البرزخ) لتوسطه بين عالمي المادة والتجرد العقلي وقد قسموا عالم المثال إلى المثال الأعظم القائم بنفسه والمثال الاصغر القائم بالنفس الذي تتصرف فيه النفس كيف تشاء

بحسب الدواعي المختلفة، فتنشيء أحياناً صور حقة صالحة وأحياناً صوراً جزافية تعبث بها.

وثالثهاً: عالم التجرد عن المادة وآثارها ويسمى (عالم العقل) والعوالم الثلاث مترتبة طولا فأعلاها مرتبة واقواها ظهوراً وأقدمها وجودا واقربها من المبدا الأول (تعالى وتقدس) عالم العقول، لتمام فعليتها وتنزه وجودها من شوب المادة والقوة، ويليه عالم المثال المتنزه عن المادة دون اثارها، ويليه عالم المادة موطن النقص والشر ولإمكان[١].

وأما العرفاء فيعتقدون ان العوالم خمسة، يقول القيصري في شرحه على الفصوص: فالعوالم غير متناهية من هذا الوجه لكن الحضرات الالهية الكلية خمسا صارت العوالم الكلية الجامعة لما عداها أيضاً كذلك[٢].

بعد اتضاح هذا نقول ان الملكوت تارة يطلق على عالم الغيب بجميع عوالمه، فكل ماوراء عالم الشهادة المشهود بالحواس الظاهرة يسمى عالم الملكوت، كما يسمى عالم المادة عالم الملك، وأخرى يطلق عالم الملكوت على عالم المثال، وهو العالم الذي يلي عالم المادة الذي ذكرنا إنه يسمى عالم البرزخ.

وهذا العالم فيه موجودات لها اشكال وهيئات واوضاع خاصة كما ذكرنا ذلك عن الطباطبائي وهي تماثل هذا العالم، فقد ورد عن الصادق عليه السلام إنه قال: ما من مؤمن إلا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثال فعله، فعند ذلك تراه الملائكه عند العرش

(١) نهاية الحكمة ص٣٠٣.
(٢) شرح فصوص الحكم للقيصري ص٩٠.

ويصلون ويستغفرون له وإذا اشتغل بمعصية ارخى الله تعالى على مثاله سترا لئلا تطلع الملائكة عليها[١].

والإنسان يطلع على هذا العالم في بعض الأحيان في حال النوم وأخرى في اليقضه وورد ذكر الملكوت في القرآن عدة مرات ويمكن من خلال ذلك ان نعرف عنه بعض الخواص.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[٢] فهنا الملكوت كما يستفاد من الآية هو من عالم الأمر، وعالم الأمر يقع في قبال عالم الخلق كما يقول تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٣] فعالم الأمر هو الذي يكون وجوده دفعي، يعني لا يحتاج إلى مقدمات بل يكفي في تحققه الإرادة الالهية، لذا الآية قالت: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ بعد ذلك قال تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

أما عالم الخلق فهو هذا العالم المادي المحسوس، الذي يكون ايجاده تدريجي يحتاج إلى شرائط ومعدات، وبعبارة ادق هو ان حقيقة الملك والملكوت شيء واحد، يعني وجهان لعملة واحدة، كل موجود من هذه الموجودات له وجه مادي يظهر به للرائي، وله وجه غيبي يرتبط فيه بالله تعالى، وينتسب إليه سبحانه، فهو فقط جل مجده بيده ملكوت كل شيء يعني الأشياء لو خرجت من يد قدرة الله تعالى كان مصيرها الانعدام، فهو الذي يمسك السموات والأرض ان تزولا.

---

(١) بحار الأنوار ج٥٤ ص٣٥.
(٢) سورة يس، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

فهذا الارتباط لا يكون إلا به سبحانه، لذلك من ينظر إلى ملكوت الأشياء يعني ينظر إلى الوجه الاخرللأشياء الذي يلي الحق، ومنه يرتبط به سبحانه فإنه يرى الحق عز اسمه، ويحصل عنده اليقين لذا قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾[1].

فإبراهيم عليه السلام نظر في السموات ورأى الكواكب ورأى القمر ثم رأى الشمس، وتفكرفي خلقها متدبرا فحصل على رؤية الملكوت، وهو باطن ما يراه في هذا العالم، فراى كل شيء مرتبط بالله سبحانه، وقائم به ومنتسب إليه، ولولا ارتباط الأشياء بالله لما كان لها حظ من الوجود، فايقن بالله سبحانه، وعلم ان وراء هذا الخلق غاية يسير نحوها، لذا نرى ان الله سبحانه وتعالى طلب منا النظر في الملكوت قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾[2].

فهنا الله سبحانه وتعالى طلب منا النظر، والنظر هو مقدمة للرؤية، وإبراهيم حصلت له الرؤية بعد النظر، وليست الرؤية هي بمستوى واحد من الدرجة والوضوح، وكذلك اليقين له درجات وهو قابل للزيادة والنقصان.

فالملكوت هو الجهة الأخرى للأشياء التي منها ترتبط بالله وتقوم به، وهذه الجهة هي جهة غيبية لا تدرك بالحواس الظاهرية، نعم هذه الحواس تنال، من الأشياء جهاتها المادية فقط، ومن هذه الجهة كثيراً ما نحسب ان الأشياء مستقلة في وجودها، ولا تحتاج إلى ما ترتبط به، فنرى أنها قائمة بنفسها لانا لانشاهد ارتباطها بالله سبحانه وتعالى، لذلك ورد الحث على النظر إلى واقع الأشياء ووجهها الغيبي حتى نرى الله سبحانه هو القائم على

(١) سورة الانعام، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

كل نفس، لذا ورد عن اميرالمؤمنين (ما رأيت شيئاً إلا ورايت الله قبله وبعده ومعه)[١].

فمن خلال مأذكرنا يمكننا ان نستخلص بعض خواص عالم الملكوت وهي:

أولاً: ان الملكوت هومن عالم الأمر الالهي، وعالم الأمر موجوداته دفعية الوجود وليس تدريجية.

ثانياً: ان الملكوت يعني هو الجهة الغيبية الباطنية للأشياء، التي من خلاله ترتبط بالله سبحانه.

ثالثاً: ان كل شيء حتى يبقى محافظا على وجوده لابد له ان يستمد في كل آن آن وجوده من الله، يعني لابد ان يبقى ارتابطه بالله مستمراً حتى يبقى موجودا، فإنه إذا انقطع عنه الارتباط يعدم، فإذا كان كل موجود له ارتباط بالله يعني ان كل موجود له ملكوت.

رابعاً: ان ملكوت كل شيء هو بيد الله سبحانه وتعالى لأنه هو المعطي الوجود لكل موجود وكل ما سواه فهو مستفيض منه.

ذكر الحكيم السبزواري في حاشيته على الاسفار ان عالم الملكوت عالم تام فيه جميع ما هو في هذا العالم من المحسوسات الخمس على وجه يليق بالملكوت لكن كل منها يوصل إليه بمشعر خاص من المشاعرالخمسة المستنيره بالمشاعر الملكوتية فبقوته الباصرة يرى ما لا يراه أشخاص الإنسان الطبيعي بما هو طبيعي من المرئيات الملكوتية وبسمعه يسمع ما لايسمعون وبذوقه يدرك ما لا يذوقون لقوله ابيت عند ربي يطعمني

(١) بحار الأنوار ج٧٠ص١٨.

ويسقيني، وبشمه ما لا يشمون كقوله ﷺ اني لا جد نفس الرحمن من قبل اليمن، وبلمسه ما لا يلمسون كقوله وجدت برد انامله بين ثديي، وبالجملة ما يدركه النبي أو الولي حالة الاسلاخ ملكوتية بالمدارك الملكوتية وكل له شان يختص به[١].

❊ ❊ ❊

(١) الحكمة المتعالية ج٣ ص٤٧ حاشية ١.

تجسم الأعمال

ذكرنا فيما سبق ان كل موجود من موجودات هذا العالم المادي له باطن وذلك الباطن هو عالم المثال الذي هو قبل هذا العالم من حيث نزول الوجود من المبدأ تعالى، وهذا الباطن لا يكون مدرك بالحواس الظاهرية لأن هذه الحواس تعمل في ظرف العالم المادي وتدرك الموجودات المادية، هنا نريد ان نتحدث عن بعض الموجودات المادية وهي أعمال الإنسان فهي وان كانت في قوس نزول الوجود في عالم المثال ولكن ذاك عالم المثال النزولي، ولكن نحن نعلم ان الإنسان كما إنه بدء من الحق ونشأ منه، فإن له رجوعا إلى تلك العوالم من خلال أعماله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[1] فالعمل الذي ينجزه الإنسان في هذا العالم تكون له صورة في عالم المثال والبرزخ الصعودي، والعلماء سموا دائرة الوجود هذه بقوسي النزول والصعود حتى تعود النهايات إلى البدايات، فالكلام في تجسم الأعمال هو في عالم البرزخ الصعودي وهو باطن الإنسان الذي تكون من خلال معتقده وأعماله، فمما لا شك فيه ان أي فعل أو إنفعال يحدث في النفس اثرا يبقى ذلك الاثر حتى بعد انتهاء وانقضاء ذلك العمل والفعل الخارجي، بحيث ان النفس تبقى متأثرة منه مدة من الزمن تطول وتقصر حسب نوع ذلك الفعل وتكراره.

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

والنفس الإنسانية حينما توجد تكون كصفحة بيضاء لم يخط فيها شيء من العلوم أو الاخلاق والملكات، نعم، فيها قابلية لانتقاش كل مايحصل معها، وهذه القابلية قد تتحكم في نوعها وسعتها وضيقها عوامل متعدد لسنا هنا بصددها، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1].

فالنفس تبدأ حين الولادة ضعيفة ليس فيها سوى القابلية والاستعداد، ثم تأخذ بالاشتداد من خلال الفعل والإنفعال فتخرج من خلالهما إلى حيز الفعلية والقوة والشدة، يعني هما يحدثان في النفس أموراً لم تكن موجودة فيها، وبعبارة أخرى ان تلك الصحيفة البيضاء يبدأ قلم الفعل والإنفعال يخطان فيها ويسطران. وما من شيء يحدث إلا ويكون قد نقش في لوح النفس: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾[2].

لذا قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[3] وقال جل علاه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[4].

فهذا الكتاب هو كتاب النفس لذا قال: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ وهو يحوي كل الأعمال التي عملها الإنسان لذا قال: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.
(٢) سورة القمر، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

حَاضِرًا﴾ فلا يسعهم الإنكار والهروب منه، وهذا هو معنى ان الأعمال تتجسم وتكون ملازمة للنفس، من حين الفعل فتكون لتلك الأعمال صوراً باطنية بمعنى أنها غير ظاهرة للحواس، بل نفس الإنسان في هذه النشأة لا يكون ملتفتا إليها بسبب حكم سلطان عالم المادة مع أنها تؤثر فيه من دون ان ينتبه إلى سبب ذلك التأثير، فإن انشغال النفس وتعلقها بظواهر هذا العالم المحسوس يجعلها غير ملتفتة إلى عالم الباطن، لذا قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[1] يعني ان الأخرة موجودة مع الدنيا وهما وجهان لعملة واحدة ظاهرها الدنيا وباطنها الأخرة ولكن لايشعرون بها بسبب الغفلة والوقوف على الظاهر فحسب، وهذه الغفلة وهذا الغطاء التي عند الإنسان يزول لامحالة اختيار أو اضطراراً كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[2] فليست الحقيقة مستورة بغطاء وخافية عن الناس بل الناس محجوبين عنها والغطاء على اعينهم هم لاعليها هي لذا قال في الآية ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ لا إنه رفع الغطاء عنها بل عن عينك بسبب الغفلة، والغفلة إنما تكون عن أمر موجود لأن المعدوم لا معنى لأن يقال انت غافل عنه، بل إذا لم يعلمه يقال إنه جأهل به لا غافل عنه.

فحينما يكشف الغطاء تصبح العين حديد والسمع حديد وكل المشاعر كذلك، فيرى ما لم يكن يراه من قبل ويسمع ما لم يكن يسمعه، عندها يرى أعماله من حيث الباطن وكيف هي ملازمة له لا تفارقه.

فالأعمال كما أنها بأمكانها ان تغير شكل جسم الإنسان كما في

(١) سورة الروم، الآية: ٧.
(٢) سورة ق، الآية: ٢٢.

الرياضين فإن تمارينهم تعطي أجسامهم لياقة أكبر وشكلاً اضخم خصوصا رياضة بناء الأجسام، وهذا إنما يكون بسبب تكرر تلك التمارين والمداومة عليها، وليس فقط في الرياضة بل الأعمال الاخر قد تجعل الجسم نحيلا أو اسود اللون أو نتن الريح أو بالعكس تعطيه رونقا ورقة وجمالاً حسب نوع العمل وبعض الأعمال يجعل جسد العامل مريضا وبعضها يمنحه الصحة، كذلك بالنسبة إلى تأثير الأعمال في النفس وتكون شكل النفس في الباطن، بل تأثير الأعمال في النفس لا يقاس بتأثيرها في البدن فإن تأثير العمل في النفس ابلغ وابطأ زوالا، بل تكرار بعض الأعمال يحدث في النفس ملكات وصور يصعب زوالها.

والآيات والروايات في تجسم الأعمال كثيرة نعرض بعض منها:

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[1] وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠﴾[2] وقال: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦١﴾[4] وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[5] وقال: ﴿إِنَّ

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ـ ٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾[2] وقال: ﴿وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١١﴾﴾[3] وقال: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾﴾[4] وقال: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[5] وقال: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ﴿٤٠﴾﴾[6].

هذه جملة من الآيات الدالة أو المشيرة إلى تجسم الأعمال ولم أقف على كل آية لبيان وجه دلالتها أو اشارتها لأن الكلام يطول بنا، ويمكن الرجوع في ذلك إلى كتب التفسير.

وأما الروايات فهي كثيرة خصوصا روايات المعراج وما تتحدث عنه من ان النبي ﷺ راى أصناف الناس بأشكل متعدده فهذه لوحدها كثيرة وهي وأردة من طرق الفريقين، انقل بعض الروايات في تجسم الأعمال وهي:

عن إمام الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام أعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٣) سورة هود، الآية: ١١١.
(٤) سورة طه، الآية: ١٠٢.
(٥) سورة سبا، الآية: ٣٣.
(٦) سورة النبأ، الآية: ٤٠.
(٧) نهج البلاغة، الحكمة ٧.

وورد عن النبي ﷺ يقول لقيس بن عاصم وهو يعضه، إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وانت ميت، فإن كان كريما اكرمك، وان كان لئيما اسلمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحا، فإنه ان صلح آنست به، وان فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك[١].

وورد عن جبرئيل عليه السلام يقول للنبي ﷺ يا محمد احبب من شئت فإنك مفارقه، وأعمل ما شئت فإنك ملاقيه[٢].

وعن النبي ﷺ ان المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت؟ فوالله اني لأراك أمرأ الصدق، فيقول له أنا عملك فيكون له نوراً وقائدا إلى الجنة، وان الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة، فيقول من انت؟ فوالله اني لأراك أمراً السوء، فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار[٣].

وايضا عن النبي ﷺ يخرج شارب الخمر من قبره يوم القيامة متورم بطنه متورم شدقاه مدلع لسانه يسيل لعابه على بطنه، نار في بطنه تأكله حتى يفرغ الله من الخلائق[٤].

وعن الصادق عليه السلام إذا وضع الميت في قبره مثل له شخص فقال له يا هذا كنا ثلاثة، كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك، وكان أهلك فخلفوك وانصرفوا عنك، وكنت عملك فبقيت معك، أما اني كنت اهون الثلاثة عليك[٥].

---

(١) معاني الأخبار ج١ ص٢٣٣.
(٢) الأمالي للطوسي ص٥٩٠.
(٣) كنز العمال ج١٤ رقم ٣٨٩٦٣.
(٤) كنز العمال ج٥ رقم ١٣٢٥٣.
(٥) الكافي ج٣ ص٢٤٠.

وفي الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالسا قريب من رسول الله ﷺ في منزل أبي ايوب الانصاري فقال معاذ يارسول الله ارأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾[1] الآيات؟

فقال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر، ثم ارسل عينيه ثم قال تحشرعشرة أصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من المسلمين وبدل صورهم، فبعضهم على صور القردة، وبعضهم على صور الخنازير، وبعضهم منكوسون أرجلهم فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها، وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم بكم لا يعقلون، فبعضهم يمضغون السنتهم يسيل القيح من افواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتنا من الجيف، وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم،فاما الذين على صور القردة فالقتاة من الناس، وأما الذين صور الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على رؤسهم فآكلة الربا، والعمي الجائرون في الحكم، والصم البكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلوبون على الجذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل التجبر والخيلاء[2].

وفي مضمون هذه الرواية بعض روايات المعراج وان النبي ﷺ اطلع

(١) سورة النباء، الآية: ١٨.
(٢) بحار الأنوارج٧ ص٨٩.

على أهل النار وشاهد أحوالهم فيها، وهذا يدل دلالة صريحة ان النار موجودة وهناك من يتعذب فيها والجنة موجودة كذلك وهناك من يتنعم فيها ولكن ظهورها بنحو جلي للإنسان هو في القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾[١] فيظهر ماكان مستوراً هنا: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾[٢].

فالإنسان الان يضع نفسه في أيهما شاء.

فقد ورد عن النبي ﷺ لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعان، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما امسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد امسكتم؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت: وما النفقة؟ قالوا: قول المؤمن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال بنينا، وإذا امسك امسكنا[٣].

فالعمل والاعتقاد هو الذي يعطي الإنسان في ذلك العالم شكله وهيئته فيكون عليها في عالم الباطن، يطلع عليها من فتحت اعين ومسامع قلوبهم كالأنبياء والاوصياء والأولياء (سلام الله عليهم)، بل يمكن إطلاع سائر الناس عليه كما في هذه الرواية الواردة عن النبي ﷺ إنه كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال ﷺ اتعرفون ما هذه الهدة؟ قالوا الله ورسوله اعلم، قال هذا حجر القي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة، الان وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة، فما فرغ من كلامه ﷺ إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة، فقال رسول الله ﷺ الله أكبر فعلم علماء

(١) سورة الطارق، الآية: ٩.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

(٣) بحار الأنوار جـ٨ ص١٧٧.

الصحابة ان هذا الحجر هو ذلك المنافق وانه منذ خلقه الله يهوي في جهنم وبلغ عمره سبعين سنة فلما مات حصل في قعرها[١].

ففي هذه الرواية ان سائر الموجودين في المسجد سمعوا ذلك مع رسول الله ﷺ فهم قد فتح لهم سمعهم الملكوتي ببركة النبي ﷺ لكي يطلعهم على ذلك وينبههم ان النفاق ماذا يفعل بصاحبه، وانه يجعله حجارة ويجعله في قعر جهنم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٢] ويقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٣] وسيأتي ان شاء الله تعالى في اماكن متعددة من البحث روايات أخرى ومشاهدات تدل على تجسم الأعمال غير التي ذكرناها هنا ولا نريد ان نذكرها هنا حذرا من التكرار وان كان قد يتكرر بعض لمناسبة من المناسبات.

❊ ❊ ❊

(١) تفسير القرآن مصطفى الخميني جـ٤ ص٥٤٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

ظهور وتمثل الحقائق

ذكرنا ان دار الوجود فيه عوالم متعددة يبدأ وجود الحق جل وعلا ثم عالم المجردات التامة وهو عالم العقول والجبروت ثم عالم المجردات الناقصة وهو عالم المثال والملكوت ثم عالم الطبيعة والمادة وهو عالم الناسوت، واشرف العوالم هو العالم الربوبي واقرب العوالم إليه هو العالم العقلي فإنه وان كان عالما إمكانيا ولكن موجوداته موجودات مجردة عن المادة تجردا تاما يعني ليس فيه المادة وعوارض المادة من الشكل والهيئة والمقداروالللون وما شاكل ذلك، لذا كان اقرب إلى الحق تعالى، ثم عالم المثال فهو اقرب إلى عالم العقل وعالم المثال موجوداته وان كانت مجردة عن المادة ولكن فيها اثار المادة من الهيئة والشكل والمقدار، ثم عالم المادة إلي فيه المادة وآثارها، والوجود حينما يتنزل من جناب الحق سبحانه إلى هذه العوالم في كل عالم من من هذه العوالم يكون له حكما خاصا بذلك العالم يعني موجودات عالم المادة قبل ان تنزل إلى المادة وهي في عالم المثال ليس فيه المادة، فإن زيداً في عالم الطبيعة له مادة ولكن حينما تراه في النوم فانك لا ترى زيد ببدنه المادي وإنما تراه بهيئته وشكله فقط وحينما يكون في عالم العقل لايكون له حتى هيئة وشكل وإنما على نحو الكلية والتجرد وهو المعنى الكلي للإنسان من دون ان يكون إنسان مخصوص بمميزات مخصوصة.

ان قلت: هل يمكن ان يكون موجودا ليس له حتى شكل وهيئة؟ فانا

وان تعقلنا وجود شيء بلا مادة ولكن يكون له هيئة وشكل من قبيل مانراه في النوم ولكن كيف نعقل موجودا لاهيئة ولاشكل له؟

قلت: المعاني الكلية في العقل جميعها ليس لها ذلك، وكذلك جميع أحوال النفس التي يشعر بها كل إنسان من قبيل الحب والبغض والفرح والسرور والانبساط والانقباض وماشاكل ذلك، كل هذه الأمور هي موجودات لاشكل ولاهيئة لها، فليس بالضرورة ان يكون لكل موجود تلك الخصائص فانها من أحكام عالم المادة والمثال وما وراء هذه العوالم ليس لها هذه الأحكام.

اذا اتضح هذا، وهو ان نفس الموجود له حكم حسب العالم الموجود فيه يتضح لنا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[1] فإن كل شيء موجود في الخزائن الالهية كما تقول الآية المباركة وهو هناك ليس له أي مقدار، وإذا وجد في عالمنا يعني إنه خرج من تلك الخزائن الالهية وتقدر عند خروجه حال تنزله كما تقول الآية أيضاً.

ولو أردنا ان نقرب الفكرة بمثال فنقول:

ان الإنسان له كثير من المعلومات الموجودة في ذاته وهو غير ملتفت إلى تفاصيلها وأصنافها وأنواعها، ولكن عند ما يواجه أمراً ما خارج ذاته يرجع إلى خزين معلوماته للنوع والصنف الذي يختص بذلك الأمر، فيخرج من ذاته إلى مقام عقله وهومقام المفاهيم الكلية ثم ينزل من مقام العقل إلى مقام المثال والخيال فيتصور بصورة معينة ثم إلى مقام الحس فتتلبس تلك المعلومة بالمادة من خلال التلفظ بها أو كتابتها على الورق، مع الالتفات

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

ان تلك المعلومة لم تبارح وتجافي موضعها من تلك الذات يعني العالم عندما يضع علمه في كتاب فإن ذاته لاتفرغ من تلك المعلومات، بل يخرج منها على نحو الاشراق والتجلي والظهور إلى عالم العقل ثم الخيال ثم الحس، فهي موجودةفي كل تلك العوالم ولم تجافيها وتبارح أي من تلك العوالم، فحينما التفت إلى معلومة الكتاب تظهر في العقل على نحو مفهوم كلي يصدق على كتب كثيرة ثم ينزل إلى الخيال فيأخذ هيئة كتاب مخصوص بشكل معين وهو القرآن الكريم بنسخة معينة كنت املكها ثم اتلفظ به وأقول أعطيني هذا الكتاب، فالكتاب له مرتبة لفظية حسية ومرتبة خيالية ومرتبة عقلية ومرتبة في ذات العالم به، هذا قوس نزول تلك المعلومة من الذات إلى مقام الحس، والمسألة بالعكس في صعود المعلومة من الحس إلى الذات تتدرج في هذه المراتب كذلك عندما انظر للكتاب يكون في مرتبة الحس وعندما يغيب عن العين اراه في خيالي ثم اجرده عن مشخصاته ومميزاته فيكون في مقام العقل كتاب كلي ثم يستقر في ذاتي مع سائر المعلومات.

هذا هو قوس النزول والصعود في نفس الإنسان وهما كذلك في عالم الاعيان الخارجية، كانت في الذات الالهية ثم في الخزائن ثم في عالم العقول ثم في عالم المثال ثم في عالم الطبيعة والمادة.

فنحن عندما نتحدث عن الحواس الباطنية ومدركاتها إنما يقع في عالم المثال لأنه هو العالم الذي فيه مقادير وهيئات واشكال، ولكن من دون مادة وأما ما فوق عالم المثال فإنه لا يدرك بهذه الحواس الخمسة الملكوتية وإنما يدرك بمدركات أخرى تسانخ تلك العوالم.

وبعد اتضاح هذا نقول ان الذي يطلع على عالم الملكوت من خلال حواسه الخمس الباطنية ويرى أو يسمع أو يشم أو يلمس أو يذوق تلك

الموجودات فانها لاتكون بالضرورة في عالم المادة نفس مارآه أو سمعه أو ذاقه في عالم المثال بل هناك بنحو وهنا بنحو أخر من قبيل ان يوسف راى ابويه وإخويه شمس وقمر وكواكب وهكذا رؤيا ملك مصر وصاحبي يوسف عليه السلام في السجن، فالحقيقة اخذت ثوبا ومظهرا أخر في ذلك العالم وهذا كما يكون في النوم يكون في اليقضة.

فقد تكون حقيقة واحدة تظهر باشكال متعددة لأشخاص متعددين كما وأرد في ملك الموت يظهرفي حال الاحتضار لأهل الشرك والمعاصي بشكل مخيف ومرعب ولأهل الإيمان والطاعة بشكل حسن، فحال الشخص تؤثر في شكل وظهور تلك الحقيقة بالنسبة له فقط لا أنها تؤثر على الحقيقة في الواقع بل الحقيقة على ما هي عليه.

ولو أردنا ان نمثل لذلك بمثال يقرب لنا الظهور والتمثل نقول ان البث المرئي يمثل الحقيقة والصور التي تظهر بأجهزة التلفاز هي المظهرة لتلك الحقيقة فإن التسجيل والبث يكون بنحو واحد ولكن الاجهزة الملتقطة له متعددة فتوجب ظهور تلك الصورة بعدد الاجهزة وحسن الصورة وقبحها في الظهور يتبع جهاز التلفاز فإن كان فيه قدرة على اظهار الصورة ملونة تظهر الصورة جميلة حسنة صافية زاهية الالوان وان لم يكن كذلك ظهرت الصورة شاحبة ليس فيها لون غير الابيض والاسود مع ان الصورة الحقيقية فيها اللوان ولكن بسبب المظهر لها فيه قصور سلب منها تلك الصفة وإذا كان الجهاز التقاطه سيء أو فيه خلل ما فقد تظهر الصورة مشوهة جداً بحيث لايفهم منها شيء ولا يعلم لمن هي، بل أكثر من ذلك قد لا يتمكن الجهاز من اللتقاطها مع أنها موجودة ولكن الجهاز لم يكن صالح للعمل، فحقائق عالم المثال موجودة ولكن اجهزة التقاطنا لتلك الصور معطلة أو مشوشة.

ومثال أخر هو لو أعطينا معنى من المعاني الوجدانية في الحب والعشق والشوق وماشاكل ذلك لمجموعة من الشعراء ونقول لهم كل واحد منكم يلبس ذلك المعنى الوجداني حلة من الصور الخيالية، فانا سنرى انهم كل واحد منهم يصوغ ذلك المعنى بصورة مختلفة وبمقدار قدرات خيالهم التصويرية تكون الصورة حسنة أو قبيحة، فالمعنى الوجداني واحد والصور الشعرية متعددة ومختلفة بالحسن والقبح حسب قدرت الشاعر الخيالية ونظمه للشعر.

وفي بعض الأحيان قد تظهر الحقيقة كما هي في عالم المادة فما يشاهده في عالم المثال يشاهده هنا من دون اختلاف، كما إذا رايت رؤية في المنام ووقعت كما رأيتها، من قبيل رؤيا إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾[1] فهذه رؤيا صريحة وظهور لا يحتاج إلى تعبير وكذا الحال في الكشف في اليقضة قد يكون صريحا وقد لايكون صريحا.

هذا بالنسبة إلى تنزل الوجود فإنه قبل ان يتحقق في عالم المادة يظهر لمن فتح الله مشاعره الباطنية من خلال عالم المثال ويراه أما صريحا يقع كما راه بلا اختلاف أو يظهر بنحو أخر على خلاف ما يقع في عالم الدنيا.

واما في حال صعود الوجود ورجوعه فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2] فكذلك فإن الأفعال التي يقوم بها الناس تظهر لنا هنا بصورة الفعل المخصوص الذي تراه العين ولكن يتخذ شكلاً أخر حينما يكون في عالم المثال، فاكل مال اليتيم بالباطل هنا يظهر بصورة اكل والتذاذ ولكن هناك يظهر بصورة اكل النار كما يخبر القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[1] فأكل النار هو في الحال يكون ظهوره في البرزخ والمثال اكل للنار ثم بعد ذلك سيصلون السعير كما سيأتي بحث ذلك ان شاء الله في بحث تجسم الأعمال ان شاء الله.

والخلاصة من ذلك كله ان الحقائق تظهر للإدراكات الملكوتية لابنحو واحد وإنما بتمظهرات متعددة في تلك القوى الادركية.

ولا بد ان يعلم ان ظهور تلك الحقائق أما ان يقع في ظرف إدراك شخص واحد فقط دون غيره كما هو الحال في تمثل حبرئيل عليه السلام فإن ظهوره كان خاص بمريم وكذا ظهوره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أغلب الأحيان كان ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بين الناس لا يراه غيره ويقول لهم هذا جبرئيل يحدثني، وكذا تمثل الدنيا لامير المؤمنين عليه السلام بامرأة حسناء كما وأرد في الحديث.

واما ان يقع ذلك الظهور لمجموعة من الأفراد كتمثل الملائكة بصورة اضياف لإبراهيم وأهله عليهم السلام، وظهورهم للوط عليه السلام أو تمثل جبرائيل بصورة دحية الكلبي فإن الموجودين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يرون دحية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتمثل إبليس بصورة سراقة بن مالك يوم بدر وتمثل إبليس يوم الندوة للمشركين في صورة شيخ كبير واشار عليهم بفكرة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وتمثله يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فإنه ذكر الشيخ الطوسي في أماليه وكتب أخرى من الفريقين عن جابر بن عبد الله بن حزام الانصاري قال تمثل ابلس لعنه الله في أربع صور تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن مالك المدلجي فقال لقريش: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.

ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾[١] وتصور يوم العقبة في صورة منبه بن الحجاج فنادى ان محمدا والصباة معه عند العقبة فادركوهم فقال رسول الله ﷺ للانصار لا تخافوا فإن صوته لن يعدو وهم وتصور يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد واشار عليهم في النبي ﷺ بما اشار فانزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[٢] وتصور يوم قبض النبي ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة فقال أيها الناس لا تجعلوها كسروانية ولا قيصرانية وسعوها تتسع فلا تردوها في بني هاشم فتنتظر بها حبلى[٣].

فالتمثل سواء كان لشخص واحد أو لأشخاص متعددين إنما هو ظهور في مدارك الشخص والحقيقة تبقى في الواقع على ماهي عليه وتتغير في ظرف إدراك الشخص كما مثلنا لذلك فيما سبق وقلنا أنها يمكن ان تظهر الحقيقة في مدراك متعددة في وقت واحد كما إذا ظهرت لأفراد متعددين في وقت واحد من قبل ظهور ملك الموت عند قبض الأرواح في مشارق الأرض ومغاربها فهو في عالمه باق على حقيقته وإنما تتعدد ظهوراته للأشخاص وكل واحد يراه بهيئة غير الذي يراه فيها الاخر.

وهذا الأمر وهو التمثل والظهور في مدارك الاخرين ليس مختصا بالملائكة والشيطان والجن أو حقائق العوالم الغيبية بل حتى الإنسان يمكنه ذلك وهو اشرف من الملائكة والجن فإذا امكن للملائكة والجن فهو ممكن

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٣) الأمالي للصدوق ص١٧٧.

للإنسان ونقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[1] فإنه ورد في الروايات ما من أحد من أهل الكتاب إلا ويرى عيسى عليه السلام عند الاحتضار ساعة الموت ويؤمن به ولكن لا ينفعه الإيمان حال المعاينة ولا تنفع التوبة آنذاك فإنه ورد عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي ان فيك مثل من عيسى بي مريم عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ يا علي إنه لا يموت رجل يفتري على عيسى بن مريم عليه السلام حتى يومن به قبل موته ويقول فيه الحق حيث لا ينفعه ذلك شيئاً وانك على مثله لا يموت عدوك حتى يراك عند الموت فتكون عليه غيضا وحزنا حتى يقر بالحق من أمرك ويقول فيك الحق ويقر بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً وأما وليك فإنه يراك عند الموت فتكون له شفيعا ومبشراً وقرة عين[2].

والروايات في هذا المضمون كثيرة فإن عيسى عليه السلام يتمثل للمحتضر عند الموت كما تذكر الآية وأما عن أمير المؤمنين عليه السلام فالروايات أيضاً متظافرة بل يقول عنها الشيخ المفيد قد اجمعت عليه أهل الإمامة وتواتر الخبر به عن الصادقين من الائمة عليهم السلام، وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال للحارث الهمداني رحمه الله:

❊ ❊ ❊

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٢) تفسير فرات الكوفي، الآية: ص١١٦.

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا[١]

واذا كنا نروي هذا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإن كثير من الروايات في كتب العامة ذكرت هذا الأمر لاناس عاديين انقل منها بعض النماذج ذكرها السيوطي في رسالة سماها المنجلي في تطور الولي في كتاب الحاوي للفتاوي يقول:

بعد الحمد رفع إلي سؤال في رجل حلف بالطلاق ان ولي الله الشيخ عبد القادر الطشطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق إنه بات عنده في تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما أم لا؟

فارسلت قاصدي إلى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال ولو قال أربعة اني بت عندهم لصدقوا، فافتيت بإنه لا يحنث واحد منهما.

ثم يشرع في تقريرالاستدلال للفتوى يقول منها قد ينازع فيها من يتوهم ان وجود الشخص الواحد في مكانين في وقت واحد غير ممكن، بل هو مستحيل.

وليس الأمر كما توهمه هذا المتوهم من الاستحالة فقد نص الائمة الاعلام على ان ذلك من القسم الجائز الممكن وإذا كان ممكنا فظاهر إنه لا حنث ـ إلى ان يقول ـ وقد وقعت هذه المسألة قديما وافتى فيها العلماء بعدم

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد: ص٧٣

الحنث كما افتيت، واستنادهم فيه إلى كونه ممكنا غير مستحيل، فأقول قد نص على إمكان ذلك أئمة اعلام، منهم العلامة علاء الدين القونوي شارح الحاوي، والشيخ تاج الدين السبكي، وكريم الدين آلاملي شيخ الخانقاه، سعيد السعداءوصفي الدين بن أبي منصور، وعبد الغفار بن نوع القوصي صاحب الوحيد، والعفيف اليافعي، والشيخ تاج الدين ابن عطا الله، والسراج ابن الملقن، والبرهان الابناسي، والشيخ عبد الله المنوفي، وتلميذه الشيخ خليل المالكي صاحب المختصر، وابو الفضل محمد بن إبراهيم التلمساني المالكي وخلق اخرون، وحاصل ما ذكروه في توجيه ذلك ثلاثة أمور:

إحدها: إنه من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع للجان.

والثاني: إنه من باب طي المسافة وزوي الأرض.

والثالث: من باب عظم جثة الولي بحيث ملأ الكون.

فشوهد في كل مكان كما قرر بذلك شأن ملك الموت ومنكر ونكير. ثم يذكر أقوال العلماء ويذكر المصادر تفصيلاً [١].

فهؤلاء العلماء يقولون بتعدد الصور لاناس عاديين ويفتون بالفتاوى التي تترتب على ما يعتقدون من صحة ذلك، ولا يرون ان فيه أمراً مستحيلاً.

وحينما نقرأ ظواهر الخروج من الجسد كما قدمنا في الفصل الأول لا نستبعد هذه الأقول مع اني قلت سابقا اني لا أريد ان استدل بظاهرة الخروج من الجسد على ما نحن فيه لأن البون شاسع بين المسألتين فإن البحث في الجسد الاثيري الذي هو في ظاهرة الخروج من الجسد هو بحث

(١) الحاوي للفتاوي للسيوطي ص٣١٨.

في الظواهر الفيزيائية المادية، وأما البحث عن التمثل والظهور للحقائق في مدارك بعض الأشخاص هو بحث ميتافيزيقي ماورائي والمنهج المتبع للبحث فيهما يختلف أيضاً فإن البحث في الأول تجريبي، والبحث في الثاني عقلي .

وكثير ما يقع الخلط بين المسألتين عند كثير من الباحثين فيتصور ان الجسد الاثيري هو نفسه البدن المثالي، والحال ان الجسد الاثيري مادي والجسد المثالي البرزخي مجرد عن المادة، ويحسبون ان الإنسان عندما يموت يكون في جسده الاثيري، بينما الإنسان في حال الموت يترك عالم المادة بكثافته ولطافته وينتقل إلى عالم المثال والبرزخ .

فيجدر بنا ان لا نحكم بكذب ظاهرة من الظواهر بمجرد الاستبعاد، فإن كثير من الناس عندما تذكر له بحثا عن أمر من الأمور من داخل الدين لا يقبله وأما إذا ذكرت له نفس الأمر أو أمر مشابه له من العلوم الأخرى فإنه لا يبدي أي اعترض، بينما حق الحكم ان يتثبت فيه قبل ان يبدي رأيه في أي مسألة حتى يقوم الدليل على اثباتها أو نفيها، والاستبعاد لوحده ليس دليلاً على نفي الحكم واثباته.

❊ ❊ ❊

الرؤية القلبية القسرية

لما كان للقلب حواس يمكن استعمالها في هذا العالم فمن المطاوب فتحها والاستفادة منها اختيارا، وهو كمال للإنسان لاينالـه إلا ذو حظ عظيم، ويحتاج إلى جهد ومجاهدة للنفس حتى إذا ماصقلت مرآة القلب جيداً وزالت العشوة منه تتفتح مداركه، وتنعكس فيه حقائق عالم الملكوت، فيرى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيعش في المحل الأعلى وبدنه في عالم الدنيا، كما ورد عن مولى الموحدين عليه أفضل صلاة المصلين في ضمن كلام له مع كميل بن زياد (هجم بهم العلم على حقائق الأمور، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجأهلون، وصحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى)[1].

هذا هو المطلوب ولا بد ان يسعى الإنسان للحصول عليه وإذا لم يفعل ذلك فإنه في أغلب الأحيان تنفتح تلك المدارك للقلب قسرا، وليس في ذلك فضل لصاحبها لأنه ليس هو من فتحها وهذا الفتح القسري يكون في موردين وكلاهما في الدنيا وهما:

إحدهما: حال النوم فإنه حينما تركد الحواس الظاهرة ونقطع الشواغل عن النفس تشرف على عالم الملكوت فترى بعض الحقائق متمثلة لها بصور

(١) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص٢٩١.

شتى، وتعمل الحواس الباطنية جميعا فترى وتسمع وتشم وتذوق وتلمس، كل ذلك يحصل والحواس البدنية معطلة، فيلتذ ويتالم وينبسط وينقبض بمايراه هناك، وهذا يحصل لكل الناس الصالح منهم وغير الصالح، ، كمأذكرنا بعض الشواهد القرآنية في بحث مؤيدات منامية، فليس في ذلك فضل لصحاب الرؤية.

وثانيهماً: يحصل للإنسان في حال الاحتضار، يعني وهو في أخر فترات عمره في هذا العالم فتفتح مداركة ويطلع على العالم الاخر فيرى الملائكة والحال التي هو صائر إليه وما ينتظره من النعيم أو الشقاء.

وسأذكر بعض الآيات التي تتحدث عن هذا المورد الثاني، منها الآيات التي تتحدث عن الظالمين والكافرين، ومنها ما تتحدث عن المؤمنين والصالحين، أما القسم الأول فهي كما في هذا الآيات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا

(١) سورة الانعام، الآية: ٩٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٠.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢٧.

مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٢].

فهذه الآيات تذكر حال الظامين عند الاحتضار وكيف يشاهدوا تلك الاهوال في أخر لحظات عمرهم، واي مشاهدة هذه !! فهي لا تقاس فيها المشاهدة والرؤية الدنيوية كما تذكر هذه الآية وهي قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[٣].

وهذه الرؤية حصلت بعين القلب للمحتضر، لذا نرى ان احبة المحتضر هم مجتمعون حوله ولكن انى لهم مشاهدة ما يشاهده ويمر به صاحبهم، يقول جل مجده: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[٤].

واما القسم الثاني وهي الآيات التي تتحدث عن المؤمنين والصالحين فهي اقل من سابقاتها فإن المذكور هذه الآية المباركة وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥].

وفي هذا السياق الآية التي تتحدث عن رؤية عيسى عليه السلام قبل الموت،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.
(٢) سورة النحل، الآيتانة: ٢٩ ـ ٣٠.
(٣) سورة ق، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٨٣ ـ ٨٥.
(٥) سورة النحل، الآية: ٣٣.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[1] وقد تحدثنا عنها في بحث التمثل أيضاً.

فكل هذه الآيات التي ذكرناها تتحدث صراحة عن مدارك القلب وان هناك قوى في النفس لم يلتفت إليها أكثر الناس، مع انهم كل منهم قد استعملها في حال نومه، ولكن لم يعلم إنه بإمكانه استعمالها في حال يقظته أيضاً، ويحيى مع الروحانيين وهو بعد لم يخرج من الدنيا.

وبعد ذكر الآيات في انفتاح مدارك المحتضر انقل بعض الروايات في ذلك أيضاً، والروايات كثيرة جداً هذه جملة منها:

ذكر الشيخ المفيد في أماليه الكتاب الذي ارسله أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر واليه على مصر جاء فيه:

(انه ليس أحد تفارق روحه جسده حتى يعلم أي المنزلتين يصل، إلى الجنة، أم إلى النار، اعدو هو لله أم ولي له، فإن كان وليا لله فتحت له أبواب الجنة، وشرعت له طرقها، ورأى ما اعد الله له فيها، ففزع من كل شيء، ووضع عنه كل ثقل، وان كان عدوا لله فتحت له أبواب النار، وشرعت له طرقها، ونظر إلى ما اعد الله له فيها، فاستقبل كل مكروه، وترك كل سرور، كل هذا يكون عند الموت وعنده يكون اليقين، قال الله عز اسمه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2] يا عباد الله ان الموت

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة النحل، الآيتان: ٢٨ ـ ٢٩.

ليس منه فوت، فاحذروه قبل وقوعه، واعدوا له عدته ....)[١].

وعن أبي بصير قال قلت لابي عبد الله عليه السلام قوله عز وجل: (﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾[٢] فقال أنها إذا بلغت الحلقوم ثم ارى منزله من الجنة، فيقول ردوني إلى الدنيا حتى اخبر أهلي بما ارى، فيقال له ليس لك إلى ذلك سبيل)[٣].

وعن عقبة إنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان الرجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى، قلت جعلت فداك وما يرى؟ يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا رسول الله ابشر، ثم يرى علي بن أبي طالب عليه السلام، فيقول أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبه تحب ان أنفعك اليوم، قال: قلت له ايكون أحد من الناس يرى هذا ثم يرجع إلى الدنيا؟ قال: قال لا. إلا رأى هذا أبداً مات وأعظم ذلك، قال وذلك في القرآن قول الله عز وجل (الذين امنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الأخرة لاتبديل لكلمات الله)[٤].

وروي عن الحارث الهمداني إنه قال: اتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم في منتصف النهار، قال ما جاء بك؟ قلت حبك والله، قال عليه السلام ان كنت صادقا لتراني في ثلاثة مواطن، حيث تبلغ روحك هذه ـ واومأ بيده إلى حنجرته ـ وعند السراط وعند الحوض[٥].

---

(١) الأمالي الشيخ المفيد ص٢٦٤.
(٢) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٣ ـ ٨٦.
(٣) الكافي ج٣ ص١٣٥.
(٤) الكافي ج٣ ص١٣٣.
(٥) الدعوات للراوندي ص٢٤٩.

وعن رسول الله ﷺ انظروا من تحادثون فليس من أحد ينزل به الموت إلا مثل له أصحابه إلى الله ان كانوا خياراً فخيار، وان كانوا شراراً فشرار، وليس أحد يموت إلا تمثلت له عند موته[١].

وعن سدير الصيرفي قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال لا والله، إنه إذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: ياولي الله لا تجزع فو الذي بعث محمدا ﷺ لانا ابر بك واشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر، قال ويتمثل له رسول الله ﷺ وامير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ذريتهم عليهم السلام، فيقال له هذا رسول الله وامير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام رفقاؤك، فيفتح عينيه فينظر، فينادي روحه مناد من قبل رب العزة فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة (إلى محمد وأهل بيته) أرجعي إلى ربك راضية (بالولاية) مرضية (بالثواب) فأدخلي في عبادي (يعني محمد وأهل بيته) وأدخلي جنتي، فما شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي[٢].

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إذا حيل بينه وبين الكلام، اتاه رسول الله ﷺ ومن شاء الله فجلس رسول الله ﷺ عن يمينه والاخر عن يساره، فيقول له رسول الله ﷺ أما ما كنت ترجو فهذا إمامك وأما ما كنت تخاف منه فقد امنت منه، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول هذا منزلك من الجنة فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضة، فيقول لا حاجة لي في الدنيا، فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه، وتتقلص شفتاه، وتنتشر

(١) الكافي ج٢ ص٦٣٨.
(٢) الكافي ج٣ ص١٢٧.

منخراه، وتدمع عينه اليسرى، فاي من هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فإذا خرجت النفس من الجسد، فيعرض عليها كما عرض عليه وهو في الجسد فتختار الأخرة فتغسله فيمن يغسله وتقلبه فيمن يقلبه، فإذا ادرج في اكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين يدي القوم قدما، وتتلقاه أرواح المؤمنين يسلموا عليه، ويبشرونه بما اعد الله له جل ثنائه، فإذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى وركيه، ثم يسأل عما يعلم، فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي اراه رسول الله ﷺ فيدخل عليه نورها وضوئها وبردها وطيب ريحها، قال: قلت جعلت فداك فاين ضغطة القبر؟ فقال هيهات ما على المؤمنين منها شيء، والله ان هذه الأرض لتفتخر على هذه، فتقول وطأ على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن، وتقول له الأرض والله لقد كنت احبك وانت تمشي على ظهري فأما إذا وليتك فستعلم ماذا اصنع بك، فتفسح له مد بصره[1].

هذه بعض الروايات وإلا فهي فوق حد الاحصاء، واي كلام اصرح مما جاء فيها من ان المحتضر ينفتح على العالم الاخر ويرى ما فيه، والحال إنه لا زال في الدنيا لم يخرج منها بعد، وهل تكون رؤيته بحواسه هذه الظاهرية التي انهكها النزع والاحتضار؟! وكيف يرى بها؟ ومن هم معه اصح منه بدنا واقوى منه حواسا وهم لا يشاهدون ولا يسمعون ما يشاهده ويسمعه، فلا بد إنه كانت تلك القوى معه ولم يستعملها، كما ان الجنين في بطن امه لا يستعمل حواسه الخمس الظاهرية، ولكن فرق بين الحالين فإن الجنين لا يمكنه ذلك في بطن امه وأما نحن فقادرون على فتحها في هذا العالم قبل ان نخرج.

(١) الكافي ج٣ ص١٣٠.

واكثر الروايات تتحدث عن ان حال الشخص تؤثر في إطلاعه على ذلك العالم وظهور الحقائق له فملك الموت يظهر بشكل مختلف من شخص إلى أخر والرسول واامير المؤمنين (عليهما أفضل صلوات المصلين) أيضاً كذلك

وفي بعض الروايات تصريح بتمثل النبي ﷺ وبعض الأعمال، والتمثل كما قلنا هو ظهور الحقيقة بنحو من الانحاء في إدراك المدرك، فالرسول لم يظهر بحقيقته بل تمثل وكذلك باقي الحقائق لذا لم يكن لغير المحتضر ان يرى ما يراه هو فهو ليس ظهور في العالم الخارجي وصيرورته جسدا ماديا، وإلا لرآه كل من حضر عند ذلك الميت.

❊ ❊ ❊

اخطاء الحواس الباطنة

من المعلوم ان الحواس الظاهرية كثيراً ما تخطئ ولا تنقل الواقع كما هو أما لأسباب ذاتية أو لأسباب موضوعية قد يكون هناك خلل في آلة الحس أو ان الوسط لا يلائم الإدراك الصحيح وقد أوصل بعض الباحثين ان اخطاء الحواس قد تصل إلى الثمانمائة خطأ ولكن مع ذلك لانجد ان الناس تترك الاعتماد على هذه الحواس بسبب تلك الاخطاء التي تعد بالنسبة إلى كثرة أعمال آلآت الحواس هي اخطاء ضئيلة جداً، فإن العين قد ترى الكبير صغير أو بالعكس واللمس قد يحس البارد ساخن أو بالعكس والذوق قد لايجد طعما في الذ الطعوم والشم قد لايجد بعض بعض الروائح منفرة والحال إنه لايمكن مواجهتها والسمع قد يسمع أصواتا ليس لها دلالة على شيء فيتصورها صادرة من متكلم قاصد وهكذا.

والسبب في الخطأ كما قلنا إنه قد يكون بسبب ان شرائط الإدراك لم يتحقق أو بسبب ان آلة الإدراك فها خلل أو الخلل في تفسير الأمر المدرك ـ بالفتح ـ قد يقال هكذا أو يقال كما عن بعض ان الحواس لا تخطئ بل وضيفتها التأثير فقط فأما ان يحصل تأثير وأما ان لا يحصل، وإنما الذي يقوم بالكشف والتفسير لذلك التأثير هو العقل، فالخطأ دائماً هو خطأ في التطبيق لا خطأ في الإدراك يعني الرائي لصورة مثلاً يطبقها على زيد وهي لعمرو.

وعلى أي حال كيف ما كان سبب الخطأ في هذه الحواس النتيجة هي عدم فهم الواقع بصورة صحيحة فيعتقد ان الواقع هو(أ) والحال إنه (ب) هذا هو معنى الخطأ أو ما يقرب منه.

كذلك الحال بالنسبة إلى الإدراكات بواسطة الحواس الباطنية، فإن الذي تنفتح عنده تلك ا لحواس تارة يدرك الواقع بصورة صحيحة وأخرى يخطأ في فهم الواقع أو تفسيره مع إنه رأى أو سمع أو لمس أو ذاق أو شم،كما ذكرنا ذلك أيضاً في الفصل الأول، فالذي يدرك شيئاً من خلال هذه الحواس ليس بالضرورة ان يكون فهمه لها أو تفسيره لها صحيحا من قبيل ان يصف إنسان بالغ لذة الجماع لصبي لم يبلغ الحلم فلا يوصل المعنى بصورة صحيحة لأنه يوصلها بمثال والمثال ليس دقيق في ايصال المعنى، كذلك الحال في تلك الحواس خصوصا إذا التفتنا إلى ان الصور والموجودات في عالم المثال لا تطابق دائماً ما هو موجود في عالم المادة وان ظهور الحقائق في عالم المثال للرائي تتناسب مع حال الرائي ودرجته كما ذكرنا سابقا.

فإذا كان الأمر كذلك وهو إنه يقع الخطأ في الإدراك أو في التفسير فما هو الموقف بالنسبة إلى نفس الرائي أو بالنسبة إلى غيره؟

وهل يمكن الاعتماد على تلك المشاهدات أو لا يمكن؟

نقول تارة يحصل الإدراك لأمر دنيوي وأخرى يحصل لأمر اخروي.

وفي الأمر الدنيوي تارة يكون إطلاعا على أمور ماضية كتفصيل بعض الحوادث التي وقعت وانتهى زمانها، والمشاهد لم يكن له علم بها بهذا التفصيل، وفي هذه الحالة نحكم بصدق رؤيته فيما إذا علمنا من مصدر أخر تفصيل الواقعة وعلمنا انطباقها على ما رآه حينئذ نحكم بصحة ما رأى أو أخر عنه.

وأخرى يحصل الإدراك لأمر يقع في المستقبل، فهنا لا نستطيع ان نحكم بصحة ما ادركه إلا ان يقع ما ادركه واخبر عنه.

وبطبيعة الحال هذا في إدراكات غير المعصوم أما بالنسبة للمعصوم كما في أخبارات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأخبارات نبينا ﷺ فإنه اخبر عن الامم الغابرة وماحصل معهم والقرآن الكريم ذكر لنا كثير من قصصهم يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾[2] وقال جل من قال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[3] وقال عز اسمه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[4].

فهذه الآيات تقول للنبي ﷺ لم تكن انت حاضرا في تلك الوقائع ولكن نحن نطلعك عليها وتخبر قومك عنها، هذا بالنسبة إلى الإطلاع على الحوادث الماضية التي اطلع عليها النبي ﷺ وأما الحوادث المستقبلية فيذكر القرآن الكريم: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَۗ﴾[5] وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[6] فهذه أخبارات عن حوادث مستقبلية اخبر عنها النبي ﷺ وحصلت

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.
(٢) سورة القصص، الآية: ٤٤.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٩.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٢.
(٥) سورة الروم، الآيات: ٢ ـ ٤.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٧.

بعد ذلك، وكذلك أخبارات الأنبياء عليهم السلام إنه سيقع العذاب على اممهم في اوقات مخصوصة وغير ذلك من الحوادث.

فأخبارات الأنبياء والمعصومين (عليهم صلوات الله وسلامه) واقعة لامحالة، والسبب في ذلك ان الله عصمهم في تلقي الوحي وفي تبليغه أي في إدراك الواقع وفي الأخبار عنه فلا يقع منهم الخطأ والاشتباه فيما يدركوه.

وأما أخبارات غير المعصومين عن الحوادث الواقعة في الزمن الماضي أو التي ستقع في المستقبل فلا سبيل إلى التصديق بها، إلا ان يعلم من طريق أخر أنها وقعت أو يشهد حصولها مستقبلا، وأما إذا لم تتبين لنا من طريق أخر فنتوقف عندها ولا نحكم بصدقها أو كذبها إلا بدليل، هذا بالنسبة لغير المشاهد يستعمل هذا الضابط.

واما بالنسبة إلى المشاهد نفسه فإن حصل عنده يقين من خلال إدراكه أو اطمئنان بما شاهد أو اخبر به فحينئذ يمكنه الاعتماد عليه وترتيب الاثر على ذلك، وفي هذه الحاله اعتماده وترتيب الاثر هو بالحقيقة بسبب اليقين أو الاطمئنان لانهما لهم الحجية لاكشفه، وان لم يحصل له لا يقين ولا اطمئنان فلا يحق له ان يعتمد على كشفه.

هذا كله بالنسبة إلى المنكشف إذا كان أمراً دنيويا من الحوادث الماضية أو المستقبلية.

واما بالنسبة إلى الأمور الاخروية، فاما ان يطلع على حكم شرعي، أو ما يتعلق بأمر عقائدي، ففي هذه الحالة لا بد له من مطابقة ذلك مع أحكام الشرع في فروع الدين وأصوله، فإن طابقهما يؤخذ به، وان لم يطابقهما فإن قام على اثباته دليل معتبر حكمنا بصحته، وان لم يقم عليه

دليل معتبر توقفنا فيه ولا نحكم بصدقه ولا كذبه ولا يمكن الاستناد إليه في مقام العمل والالتزام.

واما إذا كان الأمر المطلع عليه يخص البرزخ أو أحوال الآخرة وما شاكل ذلك، فنرجع إلى ما ورد عن النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) فإن وافقه شيء حكمنا بصحته وانه مصيب في كشفه، وان لم يوافقه شيء توقفنا فيه كذلك.

فانا فيما سبق علمنا ان ظهور الحقائق للرائي والمكاشف ليس على نحو واحد لانها قد تظهر بنحو صريح في أحيان قليله وفي كثير من الأحيان لا تظهر صراحة بل يكون لها مظاهر مختلفة كما بينا في بحث سابق وقلنا ان الحقيقة الواحدة لها ظهورات متعددة مختلفة حسب أحوال الأفراد ومراتبهم، ولا يتسنى لكل أحد ان يعبرمن الصورة إلى ذي الصورة ومن المظهر إلى الظاهر، إلا ان يقف على تلك الحقيقة وما هي عليه وكيف تظهر بأي وجه لكل مرتبة من مراتب الأفراد.

لذا نجد نبي الله يوسف عليه السلام أعطي علم التأويل يعني يستطيع ان يعبر من خلال المظهر وهو الرؤيا كرؤية الكواكب والشمس والقمر أو رؤية البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر واليابسات أو رؤية الخبز والطير وما شاكل ذلك يعبر إلى الظاهر والحقيقة التي وراء هذه الاشكال والتمظهرات ويستطيع ان يرد الفروع إلى الأصول ويعرف حقيقة الرؤيا لأنه مطلع على عالم الحقائق وعلمه الله ذلك، وهذا ليس مقتصر على المنامات والرؤى بل حتى في اليقضة كما حكى عنه القرآن الكريم إنه قال: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ﴾[1].

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٧.

فما لم يكن الشخص مطلعا على عالم الحقائق وإنما يطلع على مظاهرها واشكالها لا يستطيع ان يعرف هذاه المظاهر والصور ماذا ورائها، من قبيل قول أمير المؤنين عليه السلام (الحق لا يعرف بالرجال، أعرف الحق تعرف أهله)[١] فانت لا تستطيع ان تحكم على شخص إنه مظهر من مظاهر الحق في أمر من الأمور إلا بعد ان تعرف حيقية ذلك الأمر ما هي وكيف تظهر في مواقف الرجال، فكثير من الناس يدعون الحقانية في كثير من الأمور ومعرفة المصيب منهم من المخطئ في غاية الصعوبة لذا يقول (سلام الله عليه) (أيها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل ان تفقدوني)[٢] لأنه (سلام الله عليه) هو الحق، والحق هو يدور معه حيث ما دار فإنه يعرف تمظهرات الحق واين هم أهله واين من يدعيه، فإن مقامنا لا يختلف عن هذا الأمر ولكن في مورد أعرف الحق هو بالنسبة إلى الحواس الظاهرة والعلم الحصولي وموردنا هو في الحواس ا لباطنه وفي كلا العالمين الحق له مظاهر.

ومن خلال هذا البيان يتضح لنا إنه ليس بمقدور كل أحد ان يعبر الرؤيا والمنامات أو ان توضع كتب لتعبير المنام ويتكلم فيها بنحو عام كل من رأى كذا فإنه يعني كذا، ليس الأمر كذلك لأنه جهل بالحقائق وظهوراتها.

وخلاصة الأمر ان الضابط في الإدراكات التي تتعلق بالأمور الدنيوية ماضية أو مستقبلية هو الوقوع وعدم الوقوع وفي الأمور الاخروية هو مطابقة الشرع والعقل وعدم مطابقتهما.

---

(١) روضة الواعضين ص٣١.

(٢) نهج البلاغة جا ص١٨٢.

ولو أردنا ان نذكر امثلة على اخطاء الحواس الباطنة ذلك يطول بنا المقام ولكن لا بأس بذكر بعض النماذج لذلك من قبيل ان بعض أهل الكشف يدعي إنه رأى أحد الصحابة للنبي ﷺ له مقام رفيع وانه مع النبي ﷺ والحال إنه ورد من طريق أهل البيت عليهم السلام إنه إنسان غير صالح وكان مبغض لامير المؤمنين عليه السلام، فهذا الكشف أو الرؤيا يخالف قول المعصوم فيعلم أما كذب الكشف والرؤيا أو إنه مخطئ في تفسيرها فهو رأى حقيقة شخص أخر وحسب إنه فلان مثلا، وكلا الاحتمالين وأرد.

ومثال أخر الذين يدعون رؤية الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وانه أمره ان يكون سفيراً له وباب من أبوابه أو ما شاكل ذلك، فإنه يعلم كذب دعواهم من خلال الروايات الورادة عنه (سلام الله عليه) في تكذيب مدعي الرؤية والسفارة فنكون قد اخضعنا دعواهم إلى ذلك الضابط ووصلنا إلى هذه النتيجة ويكون لنا العذر عند الله تعالى في عدم تصديقهم واتباع أي دعوى من هذا القبيل.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

١ ــ العين الملكوتية في الآيات القرآنية

٢ ــ العين الملكوتية في الروايات

٣ ــ السمع الملكوتي في الآيات

٤ ــ السمع الملكوتي في الروايات

٥ ــ كلام في باقي الحواس

العين الملكوتية في الآيات القرآنية

القرآن الكريم كتاب هداية لبني البشر وكل ما يخص هذا الهدف الأساسي يكون موضع اهتمام الكتاب العزيز لأن الغرض من انزاله هو ان ينير الطريق للإنسان في مسيرته نحو الله تعالى، فكثيراً ما يشخص نقاط الضعف في النفس ويطرح طرق معالجتها، وكذا يثير مكامن القوة ويستنهض الناس لنفض الغبار عنها، لكي يصل الإنسان إلى كماله آمنا مطمئنا، نحن ذكرنا فيما سبق ان حيقية النفس هو الإدراك على اختلاف درجاته، يبدأ من العاقلة وليس له أخر إلا بالفناء في شهود الحق المتعال، فلا بد للقرآن الكريم ان يشير إلى ما يعطي الإنسانية صبغتها، سنذكر هنا ان شاء الله بعض الآيات التي تشيرالى تلك المشاعر التي أعطيت للإنسان لأنه يحتاج إليها في طريقه نحو الحق المتعال، فإن الله لا يهمل ما يحتاج إليه البشر في الوصول إليه وكل ما يحتاجون إليه في ذلك أعطي لهم، لكي لا يكون للناس حجة عليه سبحانه، وايضا لا يعطي الإنسان شيئاً لا ينفعه في مسيرة حياته الدنيوية والاخروية، لأن الحكيم يضع الشيء موضعه، فهناك قوى أعطيت للإنسان فلا بد ان يكون محتاج إليها، لأنه لو لم يكن يحتاج إليها لما خلقها الله سبحانه فيه، وإذا علم ان الله تعالى اودع فيه هذه القوى لا بد ان يستعملها وإلا لا يستطيع ان يصل إلى هدفه ويكون وجودها وعدمها سواء، سأورد هنا الآيات التي تدل على العين القلبية وفي عناوين لاحقة أذكر الآيات التي تتعرض لباقي الحواس القلبية.

منها قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[١].

هذ الآية المباركة تذكر ان الاعراض عن ذكر الله يوجب عمى القلب، وليس هذا العمى يحصل للإنسان في الأخرة بل هناك ينكشف ويتبين له إنه كان اعمى في الدنيا، وورد عن أمير المؤمنين (عليه أفضل صلاة المصلين) كما في نهج البلاغة عند تلاوته لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢] قال: ان الله جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع بعد الوقرة، وتبصر بعد العشوة، وتنقاد بعد المعاندة، وما برح لله (عزت آلآئه) في البرهة بعد البرهة وفي ازمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقضة في الاسماع والابصار والافئدة[٣].

ومن الآيات التي تدل على ان الإنسان هنا يكون اعمى ولكنه غير ملتفت لعماه هذه الآية المباركة قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة طه، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.
(٢) سورة النور، الآية: ٢٧.
(٣) نهج البلاغة جـ٣ ص٢١١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

فحقيقة الغفلة هي هذه أي إنه لا يفقه ولا يبصر ولا يسمع ولكنه لا يعلم بذلك فأي غفلة أعظم من هذه؟!

ومعلوم ان أصل العمى هو ذهاب البصر، ولكن إذا اضيف إلى القلب فإنه يراد به ذهاب البصيرة، وقد يستعمل العمى كناية عن الجهل، فالجأهل هو في الحقيقة اعمى عن الأمور التي يجهلها، فإن الفاقد للبصر لا يستطيع ان يميز بين كثير من الأشياء ولا يبصر الطريق الذي يريد ان يسلكه، كذلك الجاهل لا يستطيع التمييز بين كثير من الأمور بسبب عدم معرفته.

ومن موجبات العمى هو عدم أعمال البصيرة وتركها، كحال من لا يعمل بصره بسبب وجوده في الظلام دائماً، فإنه يفقد بصره ولا يستطيع الرؤية، وليس هذا مختص بالبصر بل كل عضو من اعضاء البدن إذا اهمل وترك ولم يؤدي وضيفته سوف يعطب ولا يعود للعمل ثانية.

ونحن هنا لا نريد ان نتكلم عن العمى الذي يعني الجهل ـ وان كان هذا هو الذي يخرج النفس عن إنسانيتها وتهوي إلى ما دون البهيمة ـ لانا قلنا أول مراتب الاداك الإنساني هو العقل واعمل العقل ومن ثم تاتي مراتب فوق العقل، فمن لم تتحقق عنده المرتبة الدانية لا تتحقق عنده المرتبة العالية بلا شك، نعم، بعد تحقق العقل مطلوب من الإنسان ان يوغل أكثر في المعرفة والإدراك كي يوغل أكثر في الإنسانية ـ بل نريد ان نتكلم عن العين القلبية التي ترى كما ترى هذه العين الظاهرية ولكن من دون استعمال العين، يذكر القرآن لنا بعض النماذج لذلك ممن هم ليسوا بأنبياء فضلا عن تحقق ذلك في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ

أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾﴾[1].

الآيات الكريمة تقص لنا هذا الحوار بين ملك رسول من قبل الله تعالى وبين مريم ابنت عمران وهي جزما ليست بنبية لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَۙ ﴿٤٣﴾﴾[2] فالأنبياء والرسل كانوا من الرجال لأن وضيفة السفارة عن الله تعالى بينه وبين خلقه من اثقل المسؤليات ولا يحتملها إلا النخب من الأفراد على امتداد البشرية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[3] فالله سبحانه هو اعلم بمن يحتمل رسالته فيحمله اياها، ولا يجامل أحد في ذلك وإنما هي وضيفة يضعها في من تتوفر فيه الكفائة اللازمة.

فمريم عليها السلام لم تكن من الأنبياء ولكن حصلت لها تلك الرؤية والمشاهدة والسماع للملك، ولو دققنا النظر في الآية المباركة سيتضح لنا أنها لم ترى الملك بعين البصر، بل راته بعين القلب، فإن قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ هذا التمثل للملك كان خاصا بها لأن الآية تقول ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ يعني دون سواها ولو كانت الرؤية بالبصر لم يكن التمثل

(١) سورة مريم، الآيات: ١٦ ـ ٢١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٣) سورة الانعام، الآية: ١٢٤.

خاص بها بل كل من كان حاظرا معها سوف يشاهد الملك، ولا يكون الأمر خاصا بها، فالتمثل للملك لم يصير الملك بشراً حقيقة، وإلا يلزم منه انقلاب حقيقة إلى حقيقة أخرى بل هو باق على ماهو عليه ولكنه ظهر لمريم عليها السلام بشكل وهيئة بشر، وهذا الظهور ليس هو ظهور في عالم المادة حتى يكون الملك مادياً، بل هو ظهور في ظرف إدراكها، كما ذكرنا ذلك في بحث التمثل، وهذا هو معنى الرؤية القلبية وانها لاتحتاج إلى استعمال جارحة العين لأن العين ترى الأمور المادية ومانحن بصدده ليس أمراً مادياً، بل هو أمراً مجرداً عن المادة، فمريم عليها السلام رأت بعين قلبها وسمعت ما لا يراه أو يسمعه غيرها، والرؤية والسماع حصل بعين القلب وأذن القلب، وهذا هو الذي أردنا بيانه من الآية المباركة.

ومن الملفت للنظر ان مريم عليها السلام لم تكن ترى وتتحدث مع الملائكة في هذه المرة فحسب بل كما يظهر من القرآن الكريم ان الأمر يتكرر معها أكثر من مرة نذكر آية أخرى تدل على ما قلناه وهي قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

فهذه الآية تبين بشرى لمريم تزفها الملائكة لها وتخبرها باصطفاء الله لها وتطهيرها، ومن ثم تأمرها بأن تؤدي شكر هذه النعمة بأظهار عبوديتها لله تعالى من خلال عبادتها له.

فهنا أيضاً حصل لقاء بين الملائكة وبين مريم عليها السلام وحصل حديث بينهم، وهو أيضاً ليس لقاءا مادياً بينهم بل كل ذلك من خلال القلب

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

وإطلاعه على ملكوت الله تعالى، ولم يتوقف الأمر على الحديث بين مريم والملائكة فحسب، بل يظهر من القرآن الكريم أكثر من ذلك، وهو ان الملائكة كانت تحضر الطعام لمريم كذلك، كما تبينه هذه الآية المباركة وهي: قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾[1].

زكريا عليه السلام كان يعلم إنه لايوجد مصدر مادي يأتي لمريم عليها السلام بالطعام، وهو ما دعاه ان يستفهم من مريم من أين يأتيها الطعام؟ ويظهر من بعض الروايات ان طعام مريم كان من الفواكه في غير مواسمها، لذا سألها زكريا ما هو مصدره؟

كان جوابها إنه من عند الله، يعني ليس من طرق الأسباب العادية، بل هو بأسباب غيبية، ومن الواضح إنه لم يكن الطعام منزل من الله مباشرة وبلا واسطة، بل كان بتوسط الملائكة، هم كانوا يحضروه لها، هذا فيما يخص مريم عليها السلام، ومريم هي من أفراد البشر، وهي في رتبة دون رتبة الأنبياء والرسل، فإذا امكن لها ان ترى وتسمع، والأمر ليس ممكانا فحسب بل هو واقع، فإن غيرها من الأفراد يمكن ان يقع لهم ذلك، من دون أي فرق، لأن حكم الامثال فيما يجوز ولا يجوز واحد.

ومورد أخر يذكره القرآن للرؤية القلبية في غير الأنبياء عليهم السلام وهو ماحصل مع زوجة إبراهيم عليه السلام يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

هذه الآيات تذكر ان رسل الله وهم الملائكة جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام ولم يكن يعرف انهم ملائكة لانهم ظهروا له بصورة بشر، وبعد ان ذبح لهم العجل وقدم لهم الطعام فرأى انهم لايأكلون علم انهم ليس من البشر، فأوجس منهم خيفة، فطمئنوه إنه لاداعي للخوف، فانهم مرسلون إلى استأصال قوم لوط وأهلاكهم، واخبروه كذلك بنجاة نبي الله لوط وهل بيته كما تذكر ذلك آيات أخرى، والأمر المهم هو ان سارة زوجة إبراهيم عليه السلام كانت شاهدة حضورهم وسماع كلامهم وتكلمت هي معهم.

ان قال قائل أنها رأتهم بعينها الحسية وإبراهيم عليه السلام كذلك، لا أنها راتهم بعين القلب كما تدعون.

قلت ليس الأمر كذلك فإنه ذكرنا في بحث التمثل ان التمثل هو ظهور الحقيقة في القوى الإدراكية، وليس ظهورها في الواقع الخارجي، يعني ان ظهورهم كان في إدراكهم لا انهم تبدلت حقيقتهم إلى البشرية، وإلا لو كان الأمر كذلك لاكلوا من الطعام الذي قدمه لهم إبراهيم عليه السلام، لأن من الأمور التي يحتاجها الإنسان ويقوم بها هي الاكل، فلو كانت حقيقتهم تبدلت إلى البشرية لما كان هناك من داعي لعدم الاكل، بل رأى إبراهيم إنه ليس

(١) سورة هود، الآية: ٦٩ ـ ٧٣.

بمقدورهم ذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ فهم كان لهم من البشرية صورتها فقط لاحقيقتها، يعني بدنا وصورة كما يتصور البعض، ليس الأمر كذلك.

فاذا اتضح انهم لم يكن لهم هذه الابدان المادية يعلم ان الرؤية لم تكن بهذه العين الظاهرية، لانها ترى ماهو مادي فقط ولاترى غير ذلك، فتكون رؤية إبراهيم عليه السلام للملائكة رؤية قلبية، وكذلك رؤية زوجته، فيثبت لنا تحقق الرؤية القلبية لزوجة إبراهيم عليه السلام، وانها تحدثت مع الملائكة، وبشروها إنه سيولد لها مولود بعد هذا العمر الطويل، وهي تعجبت من ذلك لانها كانت عجوزا، فقالوا لها ان الله لايعجزه شيء وهذه من بركات الله على أهل بيت النبوة.

ومن الآيات التي تشير إلى رؤية العين القلبية هي هذه الآيات:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾[1].

رؤية الجحيم في الآية المراد منها في هذه الدنيا وأما في الأخرة فإنه قال عنها (ثم لترونها) فهذه رؤية أخرى ليست هي الرؤية الأولى التي تكون في الدنيا، ولتي يراها من فتحت عين قلبه.

ان قلت ان الجحيم تحصل عند يوم القيامة وهي ليس موجودة الان.

قلت أننا ذكرنا في مبحث تجسم الأعمال أنها الأن موجوده، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم شاهدها في ليلة المعراج، ورأى أصناف الناس يعذبون فيها، وكما سيأتي في بعض الروايات ان هناك من شاهدها كذلك.

(١) سورة التكاثر، الآية: ٥ ـ ٧.

والذي يشاهد تلك العوالم يحصل عنده درجة عالية من اليقين، فإنه ليس الخبر كالعيان، قد يحصل للإنسان يقين ولكن لامن طريق المشاهدة، أما من طريق الاستدلال أو من طريق أخر، ولكن هذه أدنى مراتب اليقين، وقد يحصل اليقين من المشاهدة والعيان، لذا يقول الله تعالى في النبي إبراهيم عليه السلام:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾(١).

فان إبراهيم عليه السلام كان عنده يقين قبل ارائته الملكوت، ولكن يقين لا من طريق الرؤية، وأراد الله ان يقوي يقينه ويجهله من طريق الرؤية للملكوت حتى يجعله في مصاف الموقنين بهذه الدرجة.

وأخرى تحصل درجة أعلى لليقين فوق يقين الرؤية وهو يقين التحقق بالأمر، وهو الذي طلبه إبراهيم عليه السلام كذلك، حيث حكي عنه في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

فإبراهيم وهو قد كان من الموقينين وقد رأى ملكوت السموات والأرض يطلب من الله ان يريه كيف يحي الموتى، وهذا ليس طلبا لاثبات قدرت الله تعالى من قبل إبراهيم عليه السلام بل هو طلب لرقي درجة اليقين التي لديه

فطلب من الله ان يجعله هو يحي الموتى وان يكون متحققا ومتخلقا بالاسم المحيي، لذا قال الله له: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾ فهو عليه السلام قام

(١) سورة الإنعام، الآية: ٧٥.

باحيائهن، فحصل على تلك المرتبة من اليقين وهي مرتبة التحقق التي هي فوق مرتبة الرؤية التي كانت عنده.

وليس هو فقط من كان متحققا بصفة الاحياء، بل موسى عليه السلام كذلك كما تذكر سورة البقرة، وعيسى عليه السلام كان كذلك، كما ذكر عدة مرات في القرآن الكريم.

فأذن يمكن للإنسان ان يرى الحجيم وهو في الدنيا، وهذه الرؤية ليست بهذه البصر بل بعين القلب، ويمكن مشاهدة الملكوت وهو باطن هذا العالم كما ذكرنا ذلك في بحث الملكوت، ماشاهده إبراهيم عليه السلام وهو أيضاً ليس رؤية بصرية وإنما هي رؤية قلبية.

وآية أخرى تتحدث لنا عن رؤية قلبية وهي هذه الآية المباركة:

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾[1].

الآية تخبر ان الله تعالى يرى أعمال الناس، والله سبحانه من اسمائه البصير، يعني يرى ولكن ليس من خلال جارحة، وتخبر الآية ان الرسول كذلك يرى الأعمال، وانه ليس المقصود من رؤية الرسول للعمل رؤيته البصرية، لأنه ليس هو رقيب يقف على رأس كل فرد فرد من الناس حتى يراهم ببصره، وإنما هذه الرؤية هي الرؤية القلبية التي لا تحجبها الجدران والحواجز والزمان والمكان، وإلا فمن المؤكد ان البني صلى الله عليه وآله وسلم لا يرى أعمال كل أحد بعينه الباصرة، والذي يؤكد هذا المعنى هو كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شهداء الأعمال يعني سيؤدي شهادته على الأعمال بعد ان يتحمل الشهادة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

هنا، ولا معنى لتحميله الشهادة من دون ان يكون مشاهداً للعمل، بل أكثر من ذلك الشاهد على العمل لابد ان يطلع على حقيقة العمل وليس فقط على شكل العمل الظاهري، فإن كثير من الناس تؤدي الأعمال ولكن لابدافع القربة لله سبحانه، فإذا أراد النبي ﷺ ان يشهد على العمل يشهد على واقع العمل وبأي دافع صدر، لذا قال ﷺ (لضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقيلين)[١].

فلو لم يكن النبي ﷺ مطلع على قلب علي عليه السلام ونيته لم يقل هذا به، والإطلاع على النيات ليس هو مما تدركه الحواس الظاهرة.

والآية المباركة تذكر ان هناك شاهد ثالث مطلع على أعمال العباد، وإطلاعه كذلك بنفس تلك الخصوصيات التي ذكرناها لله تعالى وللرسول، يعني ليس إطلاعا بالحواس الظاهرة، وإنما هو رؤية قلبية لما يقوم به العباد من أعمال.

وهذا الشاهد في الآية هم المؤمنون، وليس كل مؤمن بل المراد مؤمنون هذه خصوصيتهم وهي الإطلاع على أعمال العباد، وهم شهداء الأعمال، والروايات تذكر ان المؤمنون في الآية المباركة المقصود منهم الائمة صلوات الله عليهم.

فيتبين لنا ان هناك مؤمنين تذكر الآية انهم لهم رؤية لأعمال الخلق وتبين ان هذه الرؤية والمشاهدة هي ليست رؤية بصرية، بل رؤية قلبية، فيجدر بالذي يريد ان يقدم على أي عمل من الأعمال، ان يلتفلت إلى إنه بمحضر الله تعالى، ومحضر رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ومحضر المؤمنين، فلا يقدم إلا على مايوافق رضا الله تعالى، وان يستحي

(١) عوالي اللئالي ج٤ ص ٨٦.

من اسائة الادب بمحضرهم الكريم، ويكون في هذه الآية رادعا عن تجاوز حدود الله تبارك وتعالى.

ومن الآيات التي تشير إلى الروية القلبية هي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[1].

هذه الآية تذكر ان الشيطان كان مع المشركين وكانوا يرونه ويتحدث معهم والحال ان الشيطان لايرى بالعين الحسية ولا يسمع بالاذن الحسية كما يقول سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

فأبليس تمثل لقريش يوم بدر وقلنا ان التمثل ليس هو انقلاب لحقيقة المتمثل وإنما هو الظهور بصورة للمتمثل له فيرى الصورة ولا يرى الحقيقة فقريش كانوا يرونه على صورة سراقة بن مالك كما جاء في الروايات فهذه رؤية قلبية ولكن لا لشخص واحد بل لأشخاص متعددين كما ذكرنا ذلك في بحث التمثل.

وذكرنا في بحث الانفتاح القسري لمدارك القلب في حال الاحتضار آيات متعددة تشير إلى حصول الرؤية القلبية وانها تقع والإنسان لازال في هذا العالم ولكن قلنا ليس له فضل في ذلك كما تقدم هناك.

* * *

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

العين الملكوتية في الروايات

ذكرنا فيما سبق بعض الآيات التي اشير فيها إلى عين القلب ورؤيته، والروايات الواردة عن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام التي تصرح أو تشير إلى هذه الحقيقة هي مستفيضة انقل هنا جملة منها وهي كالتالي:

ورد عن رسول الله ﷺ ما من عبد إلا وفي وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الأخرة، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه، فابصر بهما ما وعده بالغيب فآمن بالغيب على الغيب، وإذا أراد به غير ذلك تركه على مافيه، ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١].

وعن زين العابدين عليه السلام قال إلا ان للعبد أربعة اعين عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر اخرته، فإذا أراد الله بعبد خير فتح له العينين اللتين في قلبه، فابصر بهما الغيب في أمر اخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه[٢].

وعن النبي ﷺ لولا ان الشياطين يحومون حول قلب ابن ادم لنظر إلى الملكوت[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانية يطلب من الله انارة بصر القلب، قال سلام الله عليه:

---

(١) كنز العمال ج٢ رقم ٣٠٤٣.
(٢) التوحيد للصدوق ص٣٦٧.
(٣) عوالي اللئالي ج٤ ص١١٣.

إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وانر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك[١].

ويروي أبو بصير قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له جعلت فداك ما فضلنا على من خالفنا؟ فوالله اني لأرى الرجل منهم من هو أرضى بالَا، وانعم رياشا، وأحسن حالا، قال فسكت عني حتى إذا كنت بالابطح، ابطح مكة ورأيت الناس يضجون إلى الله، فقال ياابا محمد ما أكثر الضجيج واقل الحجيج، والذي بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالنبوة وعجل بروحه إلى الجنة مايقبل الله إلا منك ومن اشباهك خاصة، ومسح بيده على وجهي، وقال يا أبا بصير انظر، قال فإذا بالخلق كلب وخنزير وحمار، إلا رجل بعد رجل[٢].

في هذه الرواية يفتح الإمام عليه السلام عين قلب أبي بصير ليريه مايطمئن به نفسه، وهذه من كرامات نفوس الكمل من الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم، ان لهم قدرة التصرف في نفوس وقلوب الناس، ولكن لا يعملون ذلك إلا وقت الحاجة وحتى لا يخالفوا ناموس الاختبار والأمتحان للناس.

وبنفس هذا المضمون هذه الرواية الأخرى وهي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال وهو واقف بعرفات للزهري كم تقدر ها هنا من الناس؟ قال اقدر أربعة الآف الف وخمسمائة الف، كلهم قصدوا الله بآمالهم ويدعونه بضجيج أصواتهم، فقال يازهري ما أكثر الضجيج واقل الحجيج، فقال الزهري كلهم حجاج افهم قليل؟ فقال لي يا زهري ادن لي وجهك

(١) اقبال الأعمال ج٣ ص٢٩٩.
(٢) بصائر الدرجات ص٢٩١.

فأدناه إليه فمسح بيده وجهه، ثم قال انظر إلى الناس، قال الزهري فرأيت اؤلئك الخلق كلهم قردة لا ارى فيهم إنساناً إلا في كل عشرة آلآف واحد من الناس، ثم قال لي ادن يا زهري فدنوت منه فمسح بيده وجهي، ثم قال انظر فنظرت إلى الناس فرأيت أولئك الخلق ذئبة إلا تلك الخصائص من الناس نفرا يسيرا، فقلت بأبي انت وامي قد ادهشتني آياتك وحيرتني عجائبك، قال يا زهري ما الحجيج من هؤلاء إلا النفر اليسير الذين رأيتهم بين هذا الخلق والجم الغفير، ثم قال لي امسح يدك على وجهك، ففعلت فعاد أولئك الخلق في عيني ناسا كما كانوا اولَا، ثم قال من حج ووالى موالينا وهجر معادينا ووطن نفسه على طاعتنا ثم حضر هذا الموقف مسلما على الحجر الاسود ما قلده الله من امانتنا ووفيا بما الزمه الله من عهودنا فذلك هو الحاج، والباقون هم من قد رأيت يازهري[١].

وعن أبي الصباح الكناني قال صرت يوماً إلى باب أبي جعفر الباقر عليه السلام فقرعت الباب فخرجت إلي وصيفة ناهد، فضربت بيدي إلى رأس ثديها، وقلت لها قولي لمولاك اني بالباب، فصاح من أخر الدر ادخل لا أم لك، فدخلت وقلت يا مولاي والله ماقصدت ريبة، ولا أردت إلا زيادة في يقيني، فقال: صدقت لئن ظننتم ان هذه الجدران تحجب ابصارنا كماتحجب ابصاركم اذن لافرق بيننا وبينكم، فأياك ان تعاود لمثلها[٢].

وورد الحديث في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ نزلت في رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى اسامة بن زيد كان هو خازن

(١) مستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٩.
(٢) الخرائج والجرائح ج١ ص٢٧٣.

رسول الله ﷺ على رحله، فقال ما عندي شيء، فعاد إليهما فقالاً بخل اسامة، وقالا لسلمان لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان عند اسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لهما مالي أرى خضرة اللحم في افواهكما؟ قالا يارسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما، قال ظللتم تاكلون لحم سلمان وأسامة، فنزلت الآية[١].

ظاهر الغيبة في هذا العالم هو ذكر المؤمن بما يسوئه وكثيراً ما يتلذذ بها في المجالس، أما باطنها وملكوتها فهو كما رآه النبي ﷺ المطلع على عوالم الوجود رأها اكل لحم الذي تقع عليه الغيبة وهو ميت، فهل يرغب احدا في حال التفاته وعلمه ان يأكل لحم ميت أو تشتهي نفسه ذلك؟

فهذه الصورة الملكوتية هي تمثل وظهور للنبي ﷺ لحقيقة الغيبة ويراها كل من فتح الله له عين قلبه، فيرى حقيقة ماتذكره الآية المباركة وهي: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال استقبل رسول الله ﷺ حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري فقال له كيف انت ياحارثة بن مالك؟

فقال يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، فاسهرت ليلي واضمأت هواجري، وكأني انظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكاني اسمع عواء أهل النار في النار، فقال رسول الله ﷺ عبد نور الله قلبه، ابصرت فاثبت، فقال يارسول الله ادع الله

(١) البحار ج٢٢ ص٥٤.
(٢) الحجرات، الآية: ١٢.

لي ان يرزقني الشهادة معك، فقال اللهم أرزق حارثة الشهادة، فلم يلبث أياما حتى بعث رسول الله ﷺ سرية فبعثه فيها فقاتل فقتل منهم تسعة أو ثمانية ثم قتل[١].

هذه الرواية وردت من طرق الفريقين في مصادر متعددة، وهي تذكر حالة حارثة حينما فتح الله له مشاعر قلبه، وهو ليس بنبي ولا وصي نبي ولا إنه حصل له ذلك بوساطة الرسول ﷺ كما سنذكر ذلك ان شاء الله وإنما من خلال اخلاص حارثة لله فتح له مدارك القلب، والنبي ﷺ يشهد له بإنه يبصر، فهذه شهادة من النبي ﷺ لا إنه كان مدعيا يدعي ذلك من دون ان يكون صادقا في دعواه، ليس الأمر كذلك، وهذا هو من فضل الله الذي إذا أراد بعبد خيراً فتح له عيني قلبه كما ذكرنا ذلك.

وعن حبة العرني قال خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر ـ أي ظهر الكوفة ـ فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى اعييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل مانالني اولَا ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين اني اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي يا حبة ان هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال قلت يا أمير المؤمنين وانهم لكذلك؟ فقال نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقا حلقا محتبين يتحادثون، فقلت أجسام أم أرواح؟ فقال أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وانها لبقعة من جنة عدن[٢].

(١) الكافي ج٢ ص٥٤.
(٢) الكافي ج٣ ص٢٤٣.

وفي نفس هذا المضمون رواية عن ابن نباته في حديث طويل يذكر فيه ان أمير المؤمنين عليه السلام خرج من الكوفة ومر حتى اتى الغريين فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب، فقال له قنبر يا أمير المؤمنين إلا ابسط ثوبي تحتك؟

قال: لا هل هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه؟ قال الاصبغ فقلت يا أمير المؤمنين تربة مؤمن قد عرفناه، كانت أو تكون، فما مزاحمته في مجلسه؟ فقال يا ابن نباته لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقا يتزاورون ويتحدثون، ان في هذا الظهر روح كل مؤمن وبوادي برهوت نسمة كل كافر(١).

يظهر من هذه الروايتين ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يتكرر منه الذهاب إلى ظهر الكوفة حيث المقبرة هناك، وكان يأنس بمجالستهم ومحادثتهم، فهو (سلام الله عليه) كان يراهم ويكلمهم، ويقول لمن كان معه لو كشف لكم عن اعين قلوبكم لرأيتم ما ارى ولسمعتم ما اسمع، فهو صلوات الله عليه يحكي عن نفسه في صحبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يروى عنه في نهج البلاغة يقول:

ولم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهم، ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يارسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان قد آيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى إلا انك لست بنبي، ولكنك وزير وانك لعلى خير(٢).

(١) بحار الأنوار ج٦ ص٢٤٣.
(٢) نهج البلاغة ج٢ ص١٥٨.

كيف لايرى أرواح الموتى ولايسمع الشيطان ولايشم ريح النبوة ولا يرى نورالوحي والرسالة وهو الولي على الاطلاق والكل ياخذ من حقيقته ويستمد من عطائه ويطفح عليهم ما يرشح منه، وما حواس القلب عنده سلام الله عليه إلا هي من ادنى المراتب عنده، وهو القائل قبل رحيله من هذا العالم (وانما كنت جار لكم جاوركم بدني أياما)[١] فلم يكن علي عليه أفضل صلوات المصلين هنا في الدنيا إلا بدنا، وكيف يتعلق ويبقى مع طليقته، فقد طلقها ثلاثا لارجعة فيها كما يقول ذلك سلام الله عليه (هيهات غيري غيري، لاحاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها)[٢].

بل قلبه المبارك الذي هو عرش الرحمن حقا قد رأى الله عز اسمه كما قال لذعلب اليماني حينما سأله هل رأيت ربك؟ فقال ويحك يا ذعلب لم اكن بالذي اعبد ربا لم اره[٣].

فالقلب الذي يرى الله كيف لا يرى مادونه، وان تعجب فعجب ممن ينكر ذلك وهو نفس النبي ﷺ بنص القرآن مع ان النبي ﷺ مطلع على عالم الملك والملكوت، بالغ في مراقي الكمال مالم يبلغه كل من هو في دائرة عالم الإمكان، فأي فرق بينهما وهما نور واحد، وحقيقة واحدة، ولكن:

وما انتفاع اخا الدنيا بناظره اذا استوت عنده الأنوار والظلم

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤].

(١) نهج البلاغة ج٢ ص٣٤.
(٢) نهج البلاغة ج٤ ص١٧.
(٣) روضة الواعضين ص٣٢.
(٤) سورة النمل، الآيتان: ٨٠ ـ ٨١.

ولنعود إلى ماكنا بصدده من نقل الروايات في العين الملكوتية ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين بيتى ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة وقوائم منبري ربت في الجنة، قال قلت هي روضة اليوم؟ قال نعم إنه لو كشف الغطاء لرأيتم[١].

وعن الصادق عليه السلام عن ابيه عن أبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر عيسى عليه السلام بقبر يعذب صاحبه ثم مر من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال يارب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟ فاوحى الله عز وجل إليه ياروح الله إنه ادرك له ولد صالح فأصلح طريقا وآوى يتيما فغفرت له بما عمل ابنه[٢].

وعن الصادق عليه السلام قال كان فيما ناج الله به موسى بن عمران عليه السلام ان قال يا ابن عمران كذب من زعم إنه يحبني فإذا جنه الليل نام عني، اليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟ ها أنا يا ابن عمران مطلع على احبائي إذا جنهم الليل حولت ابصارهم في قلوبهم ومثلت عقوبتي بين اعينهم، يخاطبوني عن مشاهدة، ويكلموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع، وادعني في ظلم الليل، فإنك تجدني قريباً مجيبا[٣].

ما اجمل هذه الرواية التي تجعل القلب يخفق شوقا إلى لقاء الحبيب ولذة انسه وذوق حلاوة مناجاته، فمن نحن حتى يريد الحق عز اسمه الخلوة

(١) الكافي ج٤ ص٥٥٤.
(٢) الأمالي للصدوق ص٦٠٣.
(٣) وسائل الشيعة ج٧ص٧٨.

بنا ويناجينا في سرائرنا أي نعمة هذه، واي تفضل، وهو الغني عن العالمين.

فهذه الرواية تذكر ان الله يحول ابصار المحبين والمحبوبين إلى قلوبهم، ويخاطبونه عن مشاهدة، وهذه المشاهدة مترتبة على محبة الله تعالى، ومحبة الله تحصل باتباع النبي ﷺ كما يذكر جل شأنه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] ومن يحبه الله يكون عينه وسمعه، كما سيأتي الحديث عن ذلك ان شاء الله في مقام قرب النوافل.

وفي كتب العامة ورد ان عمران بن الحصين كانت الملائكة تسلم عليه وفي رواية أخرى تذكر ان الملائكة كانت تصافحه، يعني إنه كان يراهم ويكلمهم والرواية انقلها هنا عن ابن سعد في طبقاته وهي هذه:

اخبرنا الخليل بن عمر العبدي البصري قال حدثني أبي قال حدثنا قتادة ان الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت[٢].

وفي الإصابة لابن حجر يقول قال أبو عمر كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول عنه أهل البصرة إنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى[٣].

فهذه جملة من الروايات ليس هي إلا غيض من فيض مما ورد في الرؤية، نكتفي بها، ولا حاجة إلى نقل أكثر من ذلك.

❊ ❊ ❊

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) الطبقات الكبرى ج٤ ص٢٨٨

(٣) الإصابة لابن حجر ج٤ ص٥٨٥

السماع الملكوتي في الآيات

كنا قد تحدثنا عن الرؤية والنظر من خلال الآيات والروايات، والان نريد ان نتحدث حول السماع، وان كان تقدم شيء منه في بحث النظر لانا عندما تحدثنا عن الرؤية فانها في الغالب يصاحبها سماع وكلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾[1].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[2].

فهنا حصلت رؤية وسماع لكل من مريم وزوجة إبراهيم عليهما السلام، وكلتاهما رأت الملك وتكلمت معه وسمعت كلامه.

وكما ذكرنا فيما سبق ان هذه الرؤية والسماع لم يكن من طريق

(١) سورة مريم، الآيات: ١٧ ـ ١٩

(٢) سورة هود، الآيات: ٦٩ ـ ٧٣.

الحواس الظاهرة، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام فإنه في أغلب الأحيان يكون رؤية مع سماع، وفي بعض الأحيان يحصل سماع فقط، وكلامنا الان في السماع، وقد يعبر عن السماع من دون رؤية بالتحديث، والذي يسمع كلام الملائكة محدث، يعني تحدثه الملائكة، نذكر بعض الآيات في ذلك منها:

قوله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾[1].

فلم يثبت ان ذا القرنين نبي من أنبياء الله بل هو عبد صالح اتاه الله من كل شيء سببا، والآية القرآنية تذكر تكليم الله له ولكن ليس بالمباشرة لأنه ليس بنبي قالت: ﴿قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾.

فهذا تحديث لذي القرنين وكان يسمع فقط من دون يرى الملك.

وقال تعالى في قضية أم موسى عليه السلام: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾[2].

فهنا حصل وحي لام موسى وهو عن طريق الملائكة من دون ان تراهم. وانظر كيف حصل لام موسى هذا اليقين من الأخبار بحيث اعتمدت عليه واخذت رضيعها والقته في اليم، فهي كانت على يقين من أمرها، وإلا ليس من السهل ان تسمع نداء في داخلها ويأمرها ان تقتل ولدها بألقائه في

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٦.
(٢) سورة القصص، الآية: ٧.

اليم وتستجيب لذلك بسرعة مالم تتيقن من ان الذي سمعته حاصلا لامحالة وبلا ادنى شك.

وقال تعالى في مريم ابنة عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

هذه الآية غير تلك التي ذكرناها في بحث الرؤية وان كنا ذكرناها هناك أيضاً، ففي تلك تمثل لها الملك ورأته بشراً سوياً وكلمته، وفي هذه الآية يوجد تكليم فقط من دون رؤية وتخبرها بأن الله اصطفاها وطهرها وانها لابد ان تقوم بعبادة الله فهذا حديث سماع ولاتوجد فيه رؤية حسب ظاهر الآية، وان كان من المحتمل ان تكون قد رأتهم أيضاً كما قلنا سابقا.

ومريم عليها السلام كما مر سابقا ليس فقط كانت تسمع، بل تسمع تارة وترى أخرى، بل وكانت الملائكة أيضاً تاتيها بالطعام كذلك كما يذكر القرآن ذلك قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[2].

فاذا كانت الملائكة تاتي لمريم بالطعام فليس من المستغرب ان تراهم وتكلمهم ولابد ان لانغفل عن ان هذه الرؤية والسماع ليس عن طريق الحواس الظاهرة، بل من خلال حواسها الباطنة أي من خلال القلب. وآية أخرى يذكر فيها عن حواري عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟

(١) سورة سورة آل عمران، الآيتان ٤٢ ـ ٤٣

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾[١].

فهم أصحاب عيسى عليه السلام وليسوا بأنبياء وحسب ظاهر الآية إنه حصل لهم وحي والهام وتحديث.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾[٢].

فهذا كلام الملائكه مع المؤمنين ذو الاستقامه تنزل عليهم وتتحدث معهم وتبشرهم وتسندهم في حياتهم الدنيا فهم اوليائكم فلا داعي للخوف أو الحزن فتطمئن بذلك نفوسهم وتنشرح صدورهم، ومن عجيب السماع هو سماع منطق الطير والحيوانات وباقي الموجودات فهذه الآية المباركة تذكر لداوود وسليمان هذا الشان قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٣].

وقال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٢) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢.
(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.
(٤) سورة النمل، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.

وقال سبحانه ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1].

الاذن الملكوتية تسمع كل شيء حسب استعدادها وطاقتها لأن كل شيء ناطق متكلم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

وايضا قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[3].

فكل شيء يسبح وينطق ولكن كما قال الشاعر:

اذا كانت اذنك صماء فما ذنب المغني

فأرباب القلوب ينصتون إلى هذا التسبيح، ويسمعونه بآذان واعية تعي وتفهم ماتسمع، ولكن المحجوبين ينكرون عليهم ذلك، لانهم لايسمعون فيستدلون بعدم وجدانهم للسماع على عدم وجود الكلام أصلاً، وهم لا يختلفون بأستدلالهم هذا عن أولئك الذين ينكرون كل ماوراء هذا العالم الطبيعي، بسبب ان حواسهم الظاهرية لم يحصل لها إدراك لموجود وراء هذا العالم المادي، فاستندوا إلى عدم الوجدان وجعلوه دليلاً على عدم الوجود، والحال ان عدم الدليل ليس دليلاً على العدم.

فكما ان الاثبات يحتاج إلى دليل كذلك النفي يحتاج إلى دليل،

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٢١.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

ومجرد كوني لا أجد في نفسي مثل هذا السماع لا يصح ان اجعله دليلاً على النفي، وإنه ليس لهذه الموجودات كلام، وان ما ذكره القرآن لها هو بلسان الحال، والحال ان هذا القول هو خلاف ظاهر الآيات، فالآيات تقول: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وهناك من ينكر ذلك، وغاية مايعتمد عليه من دليل إنه الناس لايسمعون ذلك، والحال ان بعض الناس يسمع والذين كانوا يشهدون معجزات الأنبياء كانوا يسمعون،كما في سماع تسبيح الحصى بيد النبي ﷺ ولكن البعض يوجه ذلك ان هذا الكلام حصل بالاعجاز بسبب النبي ﷺ وغفل عن ان الاعجاز هو ليس بجعل الحصاة الصماء تسبح وتنطق بل هي كذلك منذ خلقها الله، ولكن الاعجاز كان بفتح آذان قلوب الحاظرين، وجعلهم يسمعون ذلك التسبيح.

❊ ❊ ❊

السماع الملكوتي في الروايات

الروايات في السماع من خلال القلب كثيرة، وهي من طرق العامة والخاصة، أذكر بعضا منها:

ورد ذكر المحدث ـ بفتح الدال ـ عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص فقلت له جعلت فداك كيف يعلم إنه كلام الملك؟ قال إنه يعطي السكينة والوقال حتى يعلم إنه كلام الملك[١].

فهذه الرواية عن الإمام عليه السلام تبين معنى المحدث وهو الذي يسمع كلام الملك ومؤكد ان السماع ليس هو سماع الاذن الظاهرية بل سماع باطني، لذا ترى السائل استفهم كيف يعرف إنه كلام الملك فبين الإمام عليه السلام ان هناك أحوال تعتري السامع، ومن خلال تلك الأحوال يعرف ان هذا هو كلام ملك ولايعتريه الشك في ذلك أبداً، كما ذكرنا في قضية أم موسى عليه السلام.

وعن محمد اسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول الائمة علماء صادقون مفهمون محدثون[٢].

وعن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام ان عليا عليه السلام كان محدثاً، فخرجت إلى أصحابي فقلت جئتكم بعجيبة فقالوا ما هي؟ فقلت سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول كان عليا عليه السلام محدثاً، فقالوا ما صنعت شيئاً،

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٦ ص ٦٧.
(٢) نفس المصدر.

إلا سألته من كان يحدثه؟ فرجعت إليه فقلت أني حدثت أصحابي بما حدثتني، فقالوا ما صنعت شيئاً إلا سالته من كان يحدثه؟ فقال يحدثه ملك قلت تقول إنه نبي؟ قال فحرك يده ـ هكذا ـ أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين، أو مابلغكم إنه قال ﷺ فيكم مثله[١].

فهذه الرواية تذكر جملة من المحدثين، منهم صاحب سليمان وهو اصف بن بريخيا وهو وصي سليمان الذي ذكره القرآن الكريم في قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[٢].

فالآية تذكر ان صاحب سليمان عنده علم من الكتاب، وهذا العلم هو السبب لمقدرته على اتيانه بعرش ملكته سبأ، لأنه لو لم يكن للعلم دخل لما كان هناك حاجة لأن تذكره الاية، فهو وصف مشعر بالعلية، يعني علة قدرته على الاتيان بالعرش هو كونه عنده علم من الكتاب، وعلي بن أبي طالب عنده علم الكتاب كله، لا إنه عنده بعض علم الكتاب كما في وصي سليمان كما يذكر القرآن يقول: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[٣].

فإن أغلب المفسرين من الفريقين يقولون ان الذي عنده علم الكتاب في الآية هو أمير المؤمنين عليه السلام، والروايات في ذلك كثير.

فإذا كان وصي سليمان عليه السلام عنده بعض علم الكتاب وكان محدثاً تحدثه الملائكة فالذي عنده علم الكتاب وهو وصي محمد ﷺ أولى بأن

(١) نفس المصدر.
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

يكون محدثاً، فسليمان ليس أفضل من النبي ﷺ حتى يكون وصيه محدثاً ووصي محمد ﷺ ليس محدثاً.

وتذكر الرواية ان صاحب موسى عليه السلام وهو يوشع بن نون وصي موسى الذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾[1] فهو كان ملازما لموسى عليه السلام حتى في رحلته مع العبد الصالح التي يقصها القرآن فهو لعلو مقامه وكونه وصيا لموسى عليه السلام فهولا يفارقه، فالرواية تذكر إنه محدث وعلي ابن أبي طالب عليه السلام هو وصي خاتم الأنبياء والمرسلين فهو أولى بذلك.

وتذكر الروايه شخصا ثالثا محدث من قبل الملائكة وهو ذا القرنين وتقدم الكلام عنه فيما سبق وذكرنا الآية التي ذكرت له ذلك وهو قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[2] وقوله عليه السلام في ذيل الرواية أو ما بلغكم إنه قال وفيكم مثله، يعني ان النبي ﷺ قال لأصحابه ان فيكم مثل ذي القرنين، فإنه روي عن النبي ﷺ إنه قال ان عليا ذو قرني هذه الامة[3].

ومن طريق العامة ورد في صحيح مسلم عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي ﷺ إنه كان يقول قد كان في الامم قبلكم محدثون فإن يكن من امتي منهم أحد فأن عمر بن الخطاب منهم[4].

---

(١) سورة الكهف اية ٦٠.
(٢) سورة الكهف ٨٦.
(٣) الغارات إبراهيم الثقفي ج٤ص٤٧١.
(٤) صحيح مسلم ج٧ ص ١١٥.

وورد هذه الرواية في كتب أخرى لهم، فوجود المحدث في هذه الامة متفق عليه بين الفريقين ولكن قد يقع الاختلاف في بعض المصاديق.

ورد عن عبد الغفار الجازي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له ان فلانا حدثني ان عليا والحسن عليهما السلام كان محدثين، قال: قلت له كيف ذلك؟ فقال إنه كان ينكت في آذانهما، قال عليه السلام صدق[١].

وورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي عليه السلام محدثاً وكان سلمان محدثاً، قال: قلت فما آية المحدث؟ قال يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت[٢].

وعن علقمة وابن مسعود كنا نجلس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونسمع الطعام يسبح ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياكل، واتاه العامري وساله آية، فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده، وعن ابن عباس قال قدم ملوك حضرموت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا كيف نعلم انك رسول الله؟ فاخذ كفا من حصى فقال هذا يشهد اني رسول الله فسبح الحصى في يده وشهد إنه رسول الله[٣].

وليس المعجزة في تسبيح الطعام كما يقول الاعلام، فإنه تعالى يقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[٤] بل الاعجاز في اسماعه صلى الله عليه وآله وسلم اياهم تسبيح الطعام والحصى، وهذا السماع ليس من خلال الاذن الظاهرية لأن الطعام والحصى ليس له صوت بل من خلال السماع القلبي. وفي الحديث ان

(١) بصائر الدرجات ص٣٣٧.
(٢) بصائرالدرجات ص٣٤٣.
(٣) مناقب آل أبي طالب ج١ ص٨٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

رسول الله ﷺ كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعواهدة عظيمة، فارتاعوا، فقال رسول الله ﷺ اتعرفون ما هذه الهدة؟ قالوا الله ورسوله اعلم، قال: حجر القي من أعلى جهنم منذ سبعين سنه وصل الان إلى قعهرها، وسقوطه فيها هذه الهدة، فما فرغ من كلامه ﷺ إلا والصراخ في دارمنافق من المنافقين قد مات وقد كان عمره سبعين سنة، فكبر رسول الله ﷺ وعلم الحاضرون ان الحجر هو ذلك المنافق وانه منذ خلقه الله يهوي في جهنم ولما بلغ عمره سبعين سنه فلما مات حصل في قعرها[١].

وسماع الهدة بالنسبه للصحابة هو بأسماع النبي ﷺ لهم ذلك لا من عند انفسهم فإن تلك الهدة وقعت في جهنم يعني في العالم الاخر وبتوسط النبي ﷺ فتح اسماعهم الملكوتيه ليسمعوا ذلك.

ورد في رواية طويلة انقل منهاموضع الشاهد وهي عن جابر بن عبد الله الانصاري يحكي خروجه مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى مقبرة الكوفة قال: فهممت ان اقوم فقال أمير المؤمنين عليه السلام وأنا معك يا جابر قال فلبس نعليه والقى ردائه على منكبيه وطاقته فوق قذاله ـ يعني يعني طرف الثوب فوق مؤخرة راسه عليه السلام ـ فلما ان بلغنا جبانة الكوفة سلم على أهل القبور فسمعت ضجة وهدة، فقلت يا أمير المؤمنين ما هذه الهدة؟ وماهذه الضجة؟ فقال هؤلاء إخواننا كانوا بالامس معنا واليوم فارقونا[٢].

هذه الرواية تذكر ان جابر قد سمع ضجيج من العالم الاخر سماعا قلبيا فسأل أمير المؤمنين عليه السلام عليه واجابه ان مصدر هذا الضجيج هو من البرزخ.

(١) تفسير القرآن مصطفى الخميني ج٤ ص ٥٤٦.
(٢) المناقب للخوارزمي ص٣٧.

روي عن شقيق البلخي في أكثر من مصدر من كتب الفريقين قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام سنة ١٤٩ هجريه فنزلنا القادسية قال شقيق فنظرت إلى الناس في القباب والعماريات والخيم والمضارب وكل إنسان منهم قد تزين على قدره، فقلت اللهم انهم قد خرجوا إليك فلا تردهم خائبين فبينما أنا قائم وزمام راحلتي بيدي وأنا اطلب موضعا انزل فيه منفردا عن الناس إذ نظرت إلى فتى فتي السن حسن الوجه شديد السمرة عليه سيماء العبادة وشواهدها وبين عينيه سجادة كانها كوكب دري، وعليه من فوق شملة من الصوف وفي رجله نعل عربي، وهو منفرد في عزله عن الناس فقلت في نفسي هذا الفتى من هؤلاء الصوفية المتوكلة، يريد ان يكون كلا على الناس في هذا الطريق، والله لامضيين إليه ولاوبخنه، قال فدنوت منه فلما رآني مقبلا نحوه قال لي يا شقيق: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[1].

ثم تركني ومضى، فقلت في نفسي قد تكلم هذا الفتى على سري ونطق بما في نفسي وسماني باسمي وما فعل هذا إلا هو ولي الله، الحقه واسأله ان يجعلني في حل؟ فأسرعت ورائه فلم الحقه، وغاب عني فلم اره، وارتحلنا حتى نزلنا واقصه فنزلت ناحية من الحاج ونظرت فإذا صاحبي قائم يصلي على كثيب رمل وهو راكع وساجد وأعضائه تضطرب ودموعه تجري من خشية الله عزوجل، فقلت هذا صاحبي لامضيين إليه ثم لاسألنه ان يجعلني في حل، فأقبلت نحوه فلما نظر إلي مقبلا قال لي ياشقيق: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٢) سورة طه، الآية: ٨٢.

ثم غاب عن عيني فلم اره.فقلت هذا رجل من الابدال وقد تكلم على سري مرتين ولو لم يكن عند الله فاضلا ماتكلم على سري ورحل الحاج وأنا معهم حتى نزلنا زبالة فإذا أنا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يستسقي بها ماءا فانقطعت الركوة ووقعت في البئر فقلت صاحبي والله فرايته قد رمق السماء بطرفه وهويقول انت ربي إذا ظمئت من الماء . . . وقوتي إذا أردت الطعاما. الهي وسيدي مالي سواها فلا تعدمنيها قال شقيق والله لقد رايت البئر وقد فاض مائها حتى جرى على وجه الأرض فمد يده فتناول الركوة وعلاها ماء ثم توضى وصلى ركعات . . . الخ[١].

هذه الرواية تذكر ان الإمام موسى الكاظم عليه السلام سمع الحديث في نفس شقيق البلخي حينما ظن بالإمام ظن السوء، فنهاه الإمام عليه السلام عن الظن السيء بالناس، ثم علم إنه ندم على سوء ظنه من خلال سماعه لحديث نفسه فأعلمه الإمام عليه السلام ان الله غفار لمن تاب وآمن فهذا سماع حديث النفس من خلال اذن القلب الملكوتية.

وعن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ان منا لمن يعاين معاينة، وأن منا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، وان منا لمن يسمع كما تقع السلسله في الطست، قال قلت فالذين يعاينون ماهم؟ قال خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل[٢].

ورواية أخرى بنفس المضمون عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام أنا نزاد في الليل والنهار ولولا أنا نزاد لنفد ماعندنا، فقال أبو بصير جعلت فداك من يأتيكم؟ قال ان منا لمن يعاين معاينة، وان منا من

(١) نوادر المعجزات ص١٥٨.
(٢) بصائرالدرجات ص٢٥١.

ينقر في قلبه كيت وكيت، وان منا من يسمع بأذنه وقعا كوقع السلسلة في الطست، قال قلت جعلني الله فداك من يأتيكم بذلك؟ قال هو خلق أكبر من جبرئيل وميكائيل[١].

والروايات في هذا المضمون وانهم محدثون كثيرة افرد لها صاحب بصائر الدرجات أبوابا.

ومن طريق العامة ذكر في سنن أبي داوود عن عمران بن حصين قال نهى النبي ﷺ عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا قال أبو داوود وكان يسمع تسليم الملائكة فلما اكتوى انقطع عنه فلما ترك رجع إليه[٢].

ويذكر الحاكم في مستدركه على الصحيحين عن عمران بن الحصين إنه قال لم تسلم علي الملائكة حتى ذهب مني اثر النار. قال حديث صحيح شرط الشيخين لم يخرجاه[٣].

يذكر صاحب طبقات الشافعية كان عمر قد أمر سارية على جيش من جيوش المسلمين وجهزه إلى بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها، وكثرة جموع الاعداء وكاد المسلمين ينهزمون، وعمر بالمدينة، فصعد المنبر وخطب ثم استغاث في خطبته بأعلى صوته ياسارية الجبل، ياسارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، فاسمع الله عزوجل سارية وجيوشه اجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر فلجا وا إلى الجبل، وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين فنجحوا وانتصروا، ويقول

(١) نفس المصدرص٢٥٢

(٢) سنن أبي داوود ج٢ص٢٢١.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٤ص٢١٤.

صاحب الكتاب ان عمر لم يقصد اظهار هذه الكرامة وإنما كشف له القوم وراى القوم عياناً وكان كمن هو بين اظهرهم أو طويت الأرض وصار بين اظهرهم حقيقة وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند فخاطب اميرهم خطاب من هو معهم[١].

أقول إنما انقل هذه الأخبار حتى لايعترض معترض ويقول ان الإمامية يقولون في اامتهم عجائب الأمور ويغالون فيهم فإن مثل هذه الأخبار كثيرة في كتب العامة وليس في مصدر واحد كما في هذه الرواية بل في مصادر متعدده ولكني أذكر لها مصدر واحد كأنموذج ولا أذكر باقي المصادر التي وردت فيها الرواية.

❊ ❊ ❊

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج٢ ص ٢٤١.

كلام في باقي الحواس

مر بنا الكلام مفصلا في السمع والبصر الملكوتيين، وذكرنا الآيات والروايات في هذا الصدد، وبقي الكلام في باقي الحواس وهي ثلاث الشم والذوق واللمس وهي أيضاً فيها نصوص، ولكن ليس كما هو وأرد في السمع والبصر، لانهما الاهم من كل الحواس، لذا تسمى بهما الحق جل مجده، فهو سميع بصير ولم يسمى بباقي الحواس والحال إنه كما ان البصر عنده هو نحو خاص من العلم بالمبصرات، وكذلك السمع هو نحو خاص من العلم بالمسموعات، فهو كذلك عنده علم بالمشمومات والمذوقات والملموسات، ولكنه سبحانه لم يتسم شام وذائق ولامس، لأن هذه الحواس جنبتها المادية هي الظاهرة فيها، فإذا اطلقت عليه يتبادر منها ان الحق جسم من الأجسام تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فالسمع والبصر هما مورد الاهتمام أكثر من غيرهما من الحواس، ولكن مع ذلك ينبغي الحديث عنها أيضاً، وان لم يكن كما تحدثنا عن السمع والبصر بسبب أهميتها.

أما بالنسبة إلى الشم الملكوتي فذكر القرآن الكريم ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[1].

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٤.

وورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وجد يعقوب ريح قميص إبراهيم حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين[١].

فهذا الشم من يعقوب عليه السلام لم يكن شما بحاسة الشم المادية لانها مهما قويت فانها لا تستطيع ان تشم مع بعد هذه المسافة، بل بشمه الملكوتي الذي لا يقف إمامه حاجز ولا تمنعه بعد المسافة، فبالرغم من بعد المسافة المكانية شم ريح يوسف عليه السلام، وبما إنه أمر ليس من السهل التصديق به لمن لا يمتلك هذه الحاسة لذا تعرض لسخرية من ولده فقالوا له: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾[٢] وان كان الحري بهم ان يصدقوا ابوهم النبي عليه السلام، وما كان لهم ان يستنكروا عليه ذلك حتى وان كانوا بعيدين عن هذا الإدراك، ولم يجربوه من قبل.

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات إلا فتعرضوا لها[٣].

والنفحات جمع نفحة وهي الدفعة من الريح، تجوز بها عن الطيب الذي ترتاح له النفس من نفح الطيب إذا فاح[٤].

وورد عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام لله عز وجل يوم الجمعة الف نفحة من رحمته، يعطي كل عبد منها ماشاء، فمن قرأ أنا انزلناه بعد العصر يوم الجمعة مئة وهب الله عز وجل له تلك الالف ومثلها[٥].

---

(١) علل الشرائع ج١ص٥٣.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٥.
(٣) الأمالي للمفيد ص٢٠٦.
(٤) تاج العروس ج٤ص٢٣٧.
(٥) روضة الواعضين ص٥٠٢.

وورد عن ميسرة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي اتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟ فقلت أي والله أنا لنخلوا ونتحدث ونقول ما شئنا، فقال أما والله لوددت اني معكم في بعض تلك المواطن، أما والله اني لاحب ريحكم وأرواحكم، وانكم على دين الله وملائكته فأعينوا بورع واجتهاد[١].

ذكر المازندراني في شرح هذا الحديث قال: قوله: (أما والله لوددت اني معكم في بعض تلك المواطن أما والله اني لأحب ريحكم وأرواحكم) للمؤمن ريح أطيب من المسك الأذفر يشمها المجردون ويدركها العارفون سيما إذا كان في بعض تلك المواطن التي أفضلها مدارس العلوم الشرعية ومواضع نشر فضائل الائمة الطاهرة المرضية، فانظر أيها الطالب إلى كثرة فضلها ورفعة شرفها حتى إنه عليه السلام تمنى ان يكون جليسك فيها[٢].

وفي أمالي الصدوق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما عرج بي إلى السماء اخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء انسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة[٣].

وفي الكافي عن عبد الله بن موسى بن جعفر عليه السلام عن ابيه قال: سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أرد العبد ان يفعله أو الحسنة؟

فقال ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟ قلت لا. قال ان العبد إذا هم بالحسنه خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال قم فقد

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩ص٦٨.
(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ج٩ص٦٨.
(٣) الأمالي للصدوق ص٥٤٦.

هم بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فاثبتها له، وإذا هم بالسيئة خرج نفسه نتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فإنه هم بالسيئة كان لسانه قلمه وريقه مداده واثبتها عليه[١].

كل هذه الروايات تذكر ان هناك نفحات أو ريح لايدرك بهذه الحواس الظاهرية لأنه ليس من موجودات هذا العالم المادي، فهذه الحاسة المادية لايمكنها إدراكه ولامعرفته أصلاً، بل يشم بحاسة تسانخه من عوالمه وهي حاسة الشم الملكوتية يعرفها الذين من الله عليهم بها، وهي من حواس التي للقلب كالسمع والبصر القلبي.

ورواية أخرى في وسائل الشيعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال الحواميم ريحان القرآن فأذا قرأتموها فاحمدوا الله واشكروه كثيراً بحفظها وتلاوتها ان العبد ليقوم يقرا الحواميم فيخرج من فيه اطيب من المسك الاذفر والعنبر، وان الله ليرحم تاليها وقارئها ويرحم جيرانه واصدقائه وكل حميم أو قريب وانه في القيامة ليستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقربون[٢].

نلاحظ ان قراءة هذه السور المخصوصة من مصاديق العمل الصالح الذي ذكرناه في الرواية السابقة ان له رائحة طيبة تصدر ممن يتلو هذه السور المباركة، يشمها الملائكة ومن من الله عليه بفتح مشاعره الباطنه.

وفي نهج البلاغة عن سيد الوصيين عليه السلام قال: تعطروا بالاستغفال لا تفضحكم رائحة الذنوب[٣].

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٢٩.
(٢) وسائل الشيعة ج٦ ص١٤٦.
(٣) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج٢٠ ص٢٨١.

يقصد الإمام عليه السلام ان المذنب يفتضح لأن ريح الذنب يبقى ملازم له مالم يستغفر فتشمه الملائكة وشهداء الأعمال والأولياء فيفتضح صاحب الذنب، فلا بد من تداركه بالاستغفار فإن له عطرا يزيل تلك الرائحة الكريهة.

هذا بعض ماورد في هذه الحاسة الملكوتية من الروايات التي تبين أما صراحة وجود شما ملكوتيا أو تبين وجوده من خلال وجود الرائحة التي لا تدرك بهذه الحواس، فإنه إذا كان هناك رائحة لاتشم بهذه الحاسة الظاهرية فلا بد لها من حاسة تدركها فيكون اثبات الحاسة من بعض الروايات من خلال اللوازم.

واما ماورد في الذوق فهو من قبيل ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما وأصل في صومه وأصل أصحابة اقتداء به فنهاهم عن صم الوصال فقالوا فما بالك انت يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم اني لست كاحدكم اني اظل عند ربي فيطعمني ويسقيني[١].

وورد عن زين العابدين في مناجاة المحبين يقول: الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا[٢].

واما في اللمس فورد في حديث المعراج عن الله تبارك وتعالى قال: يامحمد قلت لبيك يارب، قال فيما اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت سبحانك لاعلم لي إلا ما علمتني، قال: فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، قال فلم يسألني عما مضى ولا عما بقي إلا علمته[٣].

(١) عوالي الئالي ج٤ ص١١٨.
(٢) الصحيفة السجادية ٤١٣.
(٣) التفسير الاصفى ج٢ ص١٠٧٥.

فهذا الاحساس واللمس والشعور بيد القدرة الالهية وبردها بين ثدييه عليه أفضل صلوات المصلين ليس شعوراً مادياً جسديا، فليس المقام الذي فيه النبي ﷺ مقاما مادياً ذلك المقام الذي لم يستطع جبرئيل ان يصل إليه فقد ورد عن ابن عباس في حديث المعراج عن النبي ﷺ قال: فلما بلغ إلى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب فقال جبرئيل: تقدم يارسول الله ليس لي اجوز هذا المكان ولو دنوت انملة لاحترقت[١].

❊ ❊ ❊

(١) مناقب أل أبي طالب ج١ ص١٥٥.

الفصل الرابع

١ ــ كلام في معنى الوحي وأقسامه.

٢ ــ مراتب الإدراك الملكوتي.

٣ ــ مقام قرب النوافل.

٤ ــ مقام قرب الفرائض.

٥ ــ نوع آخر من الإدراك.

كلام في معنى الوحي وأقسامه

بما ان كلامنا يدور حول إدراكات القلب فلابد من التعرض إلى معرفة الوحي وان كان بوجه من الوجوه، وإلا فإن الوحي يمثل حالة ارتباط خاصة بين السماء والأرض، بين الحق المتعال وسفيره إلى خلقه، ولا يمكن لاحد ان يقف على كنه وحقيقة هذا الارتباط الخاص، إلا من حصل عنده هذه المنة والفضل الالهي، فهذا باب موصد على غير أهله، كما قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فلو أردنا ان نقرب فكرة عدم إدراك حقيقة الوحي بمثال نقول:

كيف يمكن لأحد ان يبين معنى الرؤية البصرية، ومشاهدة الاشكال والالون والهيئات والمناظر الخلابة وسحر مناظر الطبيعة التي تخطف الابصار، لمن هو فاقد للبصر منذ الولادة، ولم تبصر عيناه النور أصلاً، بل لايعرف معنى النور؟

هل بمقدور أحد ان يفهمه ذلك؟ مؤكد إنه غير ممكن وأي معنى وأي تفسير يبين له فيه معنى البصر، فإنه لا يدل عليه ولايقترب منه أصلاً، نعم فقط من خلال ذكر بعض الامثلة في ذلك والتشبيهات، كما يحكي لنا الله تعالى عن عالم الأخرة ونعيمها فإنه كله من قبيل المثل ولا يقترب من الحقيقة أصلاً، لذا يقول سبحانه: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن

تَحْنَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَآ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[١].

فإن مدركات عالم لا يمكن وصفها لمن لا يطلع على ذلك العالم إلا من خلال المثل، ولا يمكن معرفة حقيقتها، لذا الله سبحانه يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٢].

فانت حينما تريد ان تقرب لذة الجماع للطفل تقربها له من خلال لذة أخرى يعرفها الطفل كاللعب مثلا، وإلا لا يمكن للطفل ان يعرف لذة الجماع لأنه لم يبلغ الحلم بعد.

وان كانت معرفة الوحي مستحيلة ولكن هذا لم يمنع أهل العلم من البحث في الوحي، فكثيرمن الناس في شتى الديانات بحثت فيه، وكذلك الفلاسفة، وعلماء النفس وغيرهم، فالكثير حاول ان يفك هذا اللغز وان يقترب منه ولو قليلا.

ونحن هنا لا نخوض فيما ذكره الناس في هذا المجال وإنما نحاول اسجلاء بعض جوانب الوحي من صاحب الوحي نفسه، فنقول:

ورد ذكر الوحي في القرآن الكريم كثيراً ولموجودات متعدده من غير الإنسان فإنه ورد إنه اوحى إلى اسماء واوحى إلى الأرض واوحى إلى النحل واوحى إلى الملائكة واوحى إلى البشر، فقيل ان معنى الوحي بصورة عامة هو الاعلام بخفاء، أو الاشارة السريعة.

ولا يهمنا التعرض للوحي ومعناه في غير الإنسان وإنما نبحث عنه في

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

الإنسان فقط، واهم آية تشير إلى الوحي وأقسام الوحي هي هذه الآية المباركة وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1].

فهنا طرق ثلاثة لارتباط الله سبحانه وتعالى بالنبي وهي:

أولاً: طريق الوحي المباشر من دون واسطة.

وثانياً: طريق الوحي ولكن من وراء حجاب.

وثالثاً: طريق الوحي من خلال ارسال رسول، وهو ملك الوحي.

هناك كلام في إنه هل يمكن لكل الأنبياء ان يوحى إليهم مباشرة مع الله أو لا يمكن ذلك؟

قد يقول قائل وما المانع في ذلك؟ نقول إنه ورد أول مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى هو نور النبي الاكرم ﷺ وفي روايات أخر أرواحنا وفي غيرها العقل أو القلم أو الماء، كما تذكر الروايات، وكذلك وأرد انهم هم باب الله الذي منه يؤتى، ولا يمكن الذهاب إليه من غير الباب يعني بوساطتهم ونورهم ونور النبي في عالم الحقائق واحد كما تذكر الروايات أيضاً.

فالمخلوق أولاً هو شيء واحد يسمى باسامي متعددة باعتبارات متعددة، فإذا كان هو أول مخلوق وبوساطته خلق كل شيء، فيثبت ان حقيقته صلوات الله وسلامه عليه هي واسطة الفيض من الحق المتعال لكل ماسواه، فلا يتسنى لاحد ان يرتبط به مباشرة سوى ذلك العقل والنور المحمدي، فهذا سبب الخلاف في الارتباط المباشر بالحق سبحانه هل هو لكل أحد أو هو لواحد فقط؟

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

وان قلت كثيراً ما يذكر القرآن إنه اوحى الله إلى انبيائه فهو وحي من الله مباشرة، وعليه ليس الأمر منحصر بالنبي ﷺ بل يعم غيره أيضاً.

قلت لامشكلة في نسبة فعل واحد إلينا والى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾[١].

فكون القرآن يذكر ان الله اوحى إليهم فهذا لا يدل على إنه من دون واسطة، القرآن يذكر ان موسى اوحي إليه أول مرة من وراء حجاب الشجرة، ومع ذلك يقول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[٢] فموسى هو كليم الله سبحانه ولكن لا يدل عن ان التكلم كان يحصل مباشرة.

نعم، قد تكون الواسطة مغفول عنا مع وجودها فلا تكون حجابا تحجب ماورائها، من قبيل انك ترى صورتك في المرآة، وانت لاتلاحظ ان المرآة هي التي تعكس لك الصورة، فتقول رأيت صورتي مباشرة، ولكن هذا لايعني ان المرآة غير موجودة.

فالآية تقول أما ان يكون وحيا مباشرة وهذه المباشرة ممكن ان ندخل فيها الوحي مع الواسطة ولكن الواسطة تكون مغفول عنها وغير ملحوظة في البين، وأما ان يكون بواسطة، والواسطة أما ان لم يكن لها شعور، فهي تسمى حجاب ويكون الوحي من وراء الحجاب، وأما ان تكون الواسطة ذات عقل وشعور، فتسمى رسولا، وهو ملك الوحي فالأقسام ثلاثة، ولنذكر شيئاً عنها:

أما الأول وهو الوحي المباشر مع الله، ورد فيه عن زرارة قال قلت

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.
(٢) سورة طه، الآية: ١٣.

لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك، الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله احد، ذاك إذا تجلى الله له، ثم قال تلك النبوة يازرارة واقبل يتخشع[١].

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال بعض أصحابنا اصلحك الله كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرني، ثم يكون في حالة أخرى يغمى عليه، فقال أبو عبد الله عليه السلام إنه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل اصابه ذلك لثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك، فقال قال لي جبرئيل وهذا جبرئيل[٢].

وورد أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل[٣].

فهذه الروايات تشير إلى حال الارتباط المباشر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الله من دون ان توجد أي واسطة حقيقة، لا إنه توجد واسطة ولكنه غافل عنا.

واما الثاني وهو ان يكون الوحي مع الواسطة وتكون الواسطة غير ملتفت إليها فهو كحال موسى عليه السلام قال الله تعالى فيه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ

(١) التوحيد للصدوق ص١١٥.
(٢) الأمالي للطوسي ص٦٦٣.
(٣) فيض القديرللمناوي ج٤ ص٨.
(٤) سورة القصص، الآية: ٣٠.

يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾[١].

وقال سبحانه ﴿وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾[٢].

ففي هذه الآيات حصل لموسى نداء من قبل الشجرة وسماه الله وحيا وسماه تكليما، فهو وان كان مع الواسطة وهي الشجرة، وليس بينهما ملك رسول، ولكن بما ان موسى عليه السلام لم يكن ملتفت إلى الحجاب، بل كان لا يرى الحجاب، سماه الله وحيا، مع ان الوحي ذكرته الآية السابقة في قبال القسمين الاخرين.

واما الثالث وهو ان يكون الوحي مع الواسطة والواسطة ملتفت إليها، فهو في أغلب الأحيان تكون الواسطة ملك الوحي، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[٣] وقال ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾[٤] وقال ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾﴾[٦].

---

(١) سورة طه، الآيات: ٩ ـ ١٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٧.
(٤) سورة هود، الآية: ٦٩.
(٥) سورة هود، الآية: ٧٧.
(٦) سورة فاطر، الآية: ١.

فهذه الآيات وغيرها تتحدث عن القسم الثالث من الوحي وهو عن طريق رؤية الملك، والأنبياء عليهم السلام في الاعم الأغلب يحصل عندهم هذا النوع من الوحي فيشاهدون الملك ويتكلمون معه، وفي بعض الأحيان يسمعون صوته فقط ولا يرون شخصه، وهذه الرؤية أو السماع هي رؤية قلبية وسماع قلبي ولكن في مراتبه العالية التي لا يقع فيها خطأ أو اشتباه، لأن الأنبياء عليهم السلام عندهم المصونية من خلال العصمة، وبسبب ان الأنبياء يحصل عندهم رؤية قلبية للملك وسماع قلبي ارتأيت ان اعرض لموضوع الوحي، حتى تتضح الصورة بالنسبة للنبي هل ان الوحي يكون كله من نوع واحد أم لا؟ وتبين إنه أقسام ثلاثة كما ذكرت الآية.

❊ ❊ ❊

مراتب الإدراك الملكوتي

ذكرنا في كلام سابق ان تلك القوى الباطنية تنفتح قسرا على الإنسان في حال مغادرته لهذا العالم واشرافه على العالم الاخر، فيرى ما لايراه غيره ويسمع ما لا يسمعه غيره، وذكرنا إنه في حال النوم أيضاً تنفتح تلك القوى، فما هو وجه الاشتراك بين الموت وبين النوم؟ ولماذا يحصل في كلا الأمرين الكشف والشهود؟

القرآن الكريم يذكر حقيقة، وهي إنه لا فرق بين الموت وبين النوم فانهما معا يشتركان في توفي النفس وانقطاعها عن البدن، كما يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

ولما تنقطع النفس عن البدن يعني أنها تنقطع عن حواس البدن الظاهرية وتنقطع عن التصرف في البدن، وان كان في النوم تبقى علاقة ضعيفة بين النفس وبين البدن، بخلاف الموت فإن العلاقة تنقطع تماماً، ولكن يبقى النوم شقيق الموت فإنه ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام (النوم أخو الموت)[2].

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) عوالي اللئالي ج٤ ص٧٢.

وورد في خطبة للنبي ﷺ في أوائل بعثته قال: (والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقضون)[١].

من خلال هذا يتضح ان الأمر الذي على أساسه تفتح نوافذ قلب الإنسان ويطلع على تلك العوالم الغيبية هو قطع علاقة النفس بالبدن، سواء كان ذلك القطع تاما، أو كان ناقصا، بحيث تبقى علاقة ضعيفة بين النفس وبين البدن.

هذا هو الأمر المشترك بين الموت وبين النوم، وعلى هذا الأساس ينجلي لنا سر إطلاع كثير من الأشخاص على تلك العوالم الأخرى، وهم ليس في حال الموت ولا في حال النوم، بل هم مستيقضون، والسبب في ذلك هو عدم انشغال النفس ببدنها وتعلقها به فضلا عن اشتغالها وتعلقها بعالم المادة، فالتعلق والاخلاد إلى الأرض هو سبب المنع والحجب عن عالم النور، فإذا ماتحررت النفس وكسرت طوق اغلال المادة من عنقها، حلقت في عالم الملكوت، وعانقت الروحانيين هناك، وحييت بالحياة الخالدة الخالصة من كدورات هذا العالم المادي، ولم يحبسها زمان ولا يقيدها مكان.

وهذا الأمر ليس خاصا بالأنبياء والاوصياء والأولياء والصالحين صلوات الله عليهم اجمعين، بل نجد كثيراً من أهل الارتياض في كثير من الاديان بل حتى الوثنيين بمقدورهم الوصول إلى ذلك، من خلال ترويض النفس على عدم الانشغال بالبدن.

والطريق عند الجميع هو قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام،

(١) روضة الواعضين ص٥٣.

والعزلة تساعد على ذلك، فإذا غلقت على النفس منافذها التي في البدن فتحت لها منافذها من طرق اخر، وهو طريق القلب.

وهناك بعض الأشخاص الذين يجدون في انفسهم هذه القدرات، ويعملون على تطويرها وتنشيطها، كما يذكر ذلك في علم الباراسايكولوجي، فإن كثيراً من الأفراد حول العالم يتمتعون بهذه القدرات الاستثنائية، ولكن الذي هو ملفت للنظر في هؤلاء انهم اقصى مايطلعون عليه هو أمور هذا العالم الغائبة عنهم، واقصى حد يصلون إليه يمكنهم ان يعلموا بعض الأمور التي ستقع، أما إطلاعهم على عالم الملكوت وحقائقة فهو نادر جداً.

لذا أصبحت هذه القدرات موضع اهتمام أهل البحث والدراسة في كثير من البلدان كما ذكرنا ذلك فيما سبق.

اذن هناك قسم من الناس تحصل عندها هذه القدرات بلا كسب منه، وبعض أخر هو الذي يسلك مسلك الارتياض لرفع حجاب البدن والتحرر منه، كما يفعله كثير من أهل الديانات الشرقية في الهند والصين وغيرها.

واما في الدين الإسلامي فإن الطريق إلى ذلك محدد من قبل الشرع، وليس لاحد ان يسلك من غير ما رسمته له الشريعة الغراء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

فالطريق الذي حدده الشرع هو اقرب الطرق للوصول إلى الغاية، وهذا الطريق هو طريق التقوى كما تذكره النصوص الدينية قرأنا وسنة.

(١) سورة الانعام، الآية: ١٥٣.

أما القرآن فهذه بعض الآيات التي تذكر ان التقوى واتباع النبي ﷺ يعطي الإنسان علما وراء العلم الذي يأخذه بالكسب، ويعطى نوراً يمشي به في الناس.

منها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾[١].

ومنها قوله سبحانه: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾[٢].

ومنها قوله سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾[٥].

فالآية الأولى رتبت العلم على التقوى فمن يتقي الله ينال شرف التعليم الالهي فيحصل على علم من الله، وقالت الآية الثانية ان الرسول يعلم المؤمنين مالم يكونوا يعلمون، وهذا العلم هو نفسه النور في الآيات الاحقة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥١.
(٣) سورة الانعام، الآية: ١٢٢.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

والنور هو حقيقة العلم، وليس المقصود من العلم هو معرفة الاصطلاح وحفظه في أي مجال من مجالات المعرفة، فمجرد ان يعرف الإنسان الاصطلاح من دون ان يؤثر في سلوكه فهذا يمثله القرآن الكريم بالحمار تارة وبالكلب أخرى كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

فالحمار حينما توقر ظهره بالكتب والمسفورات لاتؤثر في سلوكه شيء، والكلب هو في جميع أحواله يلهث حملت عليه أو لم تحمل عليه فلا يفرق عنده شيء، والذي يتعلم العلم الكسبي ولا يؤثر في سلوكه شيء هو هذا حاله، فما قيمة ما تعلمه؟ وما هو نفعه؟

وانظر إلى قول ولي الله في العالمين سيد البلغاء اجمعين عليه أفضل صلوات المصلين قال:

واخر قد تسمى عالما وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، واضاليل من ضلال، ونصب للناس شراكا من حبائل غرور وقول الزور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على اهوائه، يؤمن من العظائم ويهون كبير

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ ـ ١٧٦.

الجرائم، يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع، واعتزل البدع وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه، فذلك ميت الاحياء فاين تذهبون وانى تؤفكون، والاعلام واضحة، والمنار منصوبة، فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق واعلام الدين والسنة الصدق[١].

أي درر هذه تخرج من هذا الفم الطاهر؟ وما قيمت الدرر ان هي إلا أحجار، وهذا نور يشرق من مشكاة الحقيقة.

فالعلم ان كان لايؤثر في صاحبه فهو جهل لأن وجوده وعدمه سواء لذا عبر عنه عليه السلام اخذ جهائل من جهال، فالعلم الحقيقي هو الذي يورث الخشية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢] ونفس هذا العلم هو الذي يفتح مشاعر قلب صاحبه فيطلع على الأخرة ويرى الجحيم بعين قلبه كما قال جل علاه ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾[٣].

اذن مقتضى الجمع بين هذه الآيات المباركة هو ان التقوى هي ساس العلم وسببه وان العلم هو سبب الرؤية، فمن حصل له العلم حصلت له الرؤية القلبية كما يصيرح القرآن، فهذا هو طريق الدين الإسلامي وهو الصراط المستقيم.

ولا يخفى ان التقوى لها مراتب دانية ومتوسطة وعالية، وكل مرتبة من

(١) نهج البلاغة ج١ ص١٥٣.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٣) سورة التكاثر، الآيات: ٥ ـ ٦.

هذه المراتب لها درجات لاتحصى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾[1].

فالآية المباركة تذكر ثلاث مراتب للتقوى، والناس يختلفون في مراتب ودرجات التقوى، بل قد لاتجد اثنان في درجة واحدة، فاي درجة من هذه الدرجات تكون سببا للعلم؟

أقول ان كل درجة من درجات التقوى تعطي درجة من درجات العلم والخشية، فلو أردنا ان نتحدث بلغة الارقام نقول ان درجة واحدة في التقوى تعطي درجة واحدة من العلم والخشية، والعشرة تعطي عشرة، والمئة تعطي مئة وهكذا.

ولكن بأي مرتبة من المراتب الثلاث يحصل للإنسان انفتاح على باطن هذا العالم؟

نجيب بجواب اجمالي وتفصيله يأتي ان شاء الله ببحث مسقل نقول:

المرتبة الثالثة من التقوى التي ذكرتها الآية المباركة التي هي توصل الشخص إلى مقام الاحسان في هذه المرتبة تحصل الروية عند العبد لأن مقام الاحسان هو مقام الرؤية.

فلو القينا نظرة على خطبة المتقين ـ التي ذكرها لهمام حينما طلب منه ان يصف له حال المتقين، وهمام كان من المتقين فلم تستقر نفسه في بدنه شوقا إلى الثواب ـ لرأينا معنى التقوى ما هي، يقول عليه السلام:

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

فالمتقون فيها أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت انفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ولولا الاجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب، عظم الخالق في انفسهم فصغر مادونه في اعينهم، فهم والجنة كمن قد رأها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رأها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونه وشرورهم مأمونه واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وانفسهم عفيفة، صبروا أياما قليلة اعقبتهم راحة طويله، تجارتهم مربحة يسرها لهم ربهم[١].

فهنا عليه السلام يرتب الرؤية على التقوى ان المتقون من صفاتهم هم والجنة كمن قدر رآها وهم والنار كمن قد رآها، وهي كرواية حارثة ابن مالك التي ذكرناها والتي يقول له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها عبد نور الله قلبه ابصرت فأثبت، فيشهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالابصار ويأمره بالثبات على حاله.

❊ ❊ ❊

(١) نهج البلاغة ص ١٦١.

مقام قرب النوافل

قلنا ان للتقوى مراتب ثلاث، ثالثها هي التي تدخل العبد إلى الاحسان حيث قالت الآية المباركة ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] وفي هذا المرتبة يحصل للعبد رؤية، والرؤية تارة تكون بعين قلب العبد وأخرى تكون رؤية للعبد من خلال الحق، وثالثة تكون رؤية للحق من خلال العبد، أما الرؤية بعين القلب فقد ذكرنا موارد لحصولها مورد منها هو في حال النوم، واخر في حال الاحتضار، وثالثة تحصل بفتح مشاعر القلب ببركة النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام إذا كان بعض الناس بحضرته، ونقلنا قسم من الروايات في ذلك كتسبيح الحصى شاء أو سماع الهدة أو رؤية الحجيج، ففي هذه الموارد الثلاثة تنفتح عين القلب وحواسه، ولكن العبد لم يصل فيها إلى مقام الاحسان، ومع ذلك فهو قد اطلع على بعض أمور عالم الملكوت من خلال قلبه.

والمقام الثاني الذي هو محل البحث هنا، هو ان يصل العبد إلى مقام الاحسان وعندها تحصل له الرؤية، فإنه ورد عن ابن عباس قال جلس رسول الله ﷺ مجلسا فأتاه جبرئيل، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعا كفيه على ركبتي رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله حدثني عن الإسلام، قال: الإسلام ان تسلم وجهك لله عز وجل وان تشهد ان لا إله إلا الله وحده

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله، قال فإذا فعلت ذلك فقد اسلمت، فقال سا رسول الله حدثني عن الإيمان، قال: الإيمان ان تؤمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين والموت والحياة بعد الموت ويؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، قال فإذا فعلت ذلك ذلك فقد آمنت، قال يارسول الله حدثني عن الاحسان، قال الاحسان ان تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[١].

فالمشهور اخذ تعريف الاحسان من هذه الرواية وهي ان تعبد الله كانك تراه، فالرسول ﷺ عبر بـ(كأنك) لأن الله سبحانه وتعالى لايرى بالعين لأنه ليس بجسم، فشبه الرؤية القلبية بالرؤية البصرية.

وفي مقام الاحسان يحصل العبد على محبة الله سبحانه وتعالى، كما ذكرت الآية المتقدمة ان الله يحب المحسنين، وأما كيف ينال العبد محبة الله سبحانه؟

القرآن يجيب على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[٢].

قد يدعي العبد المحبة، ولكن تبقى دعوى عارية من الدليل، وليس لها في سوق الحقائق آية قيمة، فإن الذي يحب احدا يذوب في حبه بحث يرى إنه الجمال بعينه، ومايصدر منه شيء إلا ويراه حسن جميل، ويبذل كل مافي وسعه على ان لايقدم على عمل يحتمل ان محبوبه ينزعج منه، فهل يحصل هذا عند من يدعي محبة الله؟؟

(١) بحار الأنوار ج٥٦ ص٢٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

الله يخبر الناس على لسان نبيه الكريم عليه أفضل صلوات المصلين، ان كنتم تدعون إنكم محبين لله، وأردتم ان تثبتوا دعواكم فعلا لا ادعاءا، فلا بد لكم من اتباع النبي الاكرم ﷺ فإن اتباعكم له، هو في الحقيقة اتباع لله، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[1].

فاذا كان العبد متبعا للنبي ﷺ في جميع أموره، متأسيا به مهتد بهداه، عند ذلك يكون مستحقا لحب الله سبحانه وتعالى، ويدخل في زمرة المحسنين، فيكون مصداق لهذا الحديث المشهور عند الفريقين وهو هذا:

عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله ﷺ قال الله: ما تحبب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وانه ليتحبب إلي بالنافلة حتى احبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا داعني اجبته، وإذا سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في موت مؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته[2].

الذي ينتج من حب الله للعبد ان تصبح جوارح العبد الهية فيسمع بالله ويبصر بالله ويبطش بالله ويمشي بالله، فهذا هو مقام الاحسان وفيه تتفتح مشاعر العبد وتكون الهية، والسر في ذلك هو ان العبد لا يفعل ولا يترك ولا يقبض ولا يبسط إلا بأمر الله سبحانه وتعالى فتصبح إرادة الله هي إرادة

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٢) المحاسن ج١ ص٢٩١.

العبد لأنه متبع للنبي ﷺ والنبي ﷺ لم يأمره إلا بما يريده الله سبحانه، فإذا كانت إرادة العبد تابعة لإرادة الله سبحانه، فيكون الله سبحانه وتعالى هو مشاعر العبد وجوارحه، لأن مشاعر وجوارح العبد تبعا لإرادته، فلا يتصور ان تفعل حواس العبد وجوارحه خلاف ما يريد، وهو لا يريد إلا ما يأمر به الله سبحانه وتعالى من خلال اتباع النبي ﷺ.

ان قيل إلا يفهم من هذا الحديث الحلول أو الاتحاد؟ والحلول هو ان الحق تعالى ينزل ويحل في العبد فيكون الله حالا في الإنسان، وفي الاتحاد العبد يصعد ويتحد في الله سبحانه ويصير هو الله، وكلا الأمرين محال حسب ما دلت عليه الادلة القطعية عقلا ونقلا.

قلت ليس الأمر كذلك فإن باب التخلق باخلاق الله مفتوح لعباده والتخلق باخلاقه سبحانه فيه درجات وأعلى تلك الدرجات هو ان يتحقق باسماء الله سبحانه، فيحيي ويخلق ويشفي كما يذكر القرآن الكريم في عيسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

هنا عيسى أصبح محيي وخالق وشافي، ومع ذلك لايقال ان هنا اتحاد أو حلول بل إنه عليه السلام أصبح كذلك بأذن الله، يعني ان المحيي والخالق والشافي بالذات والاصالة هو الله سبحانه، وإذا فعل مخلوق شيء من ذلك

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

فهو باقدار الله جلت قدرته وبأذنه، لا إنه فعل ذلك بمعزل منه، بل أقول ازيد من ذلك وهو ان كل ماعند العبد هو لله وهو لايملك حتى نفسه فحينما يقول العبد بحول الله وقوته اقوم واقعد، يعني يعترف العبد إنه لاحول ولا قوة له من نفسه، فهل يعني ذلك إنه هو الله وقوته حلت في العبد؟؟

ليس الأمر كذلك بل هو كما يقول إمام الموحدين سلام الله عليه (مع كل شيء لا بمقارنه، وغير كل شيء لا بمزايلة)[١] وقال عليه السلام في كلام أخر (وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لابينونة عزلة، إنه رب خالق غير مربوب مخلوق، كل ماتصور فهو بخلافه)[٢].

فاذا تبين ذلك نقول لافرق بأن يتصف العبد بصفة المحيي أو الخالق أو الشافي أو يتصف بالسميع البصير القوي وغيرها من صفات الحق سبحانه، فإنه حينما يقول الله سبحانه في الحديث كنت سمعه أو بصره يعني يتخلق ويتحقق بالاسم السميع والبصير، كما ان عيسى عليه السلام متحقق بالاسم المحيي الخالق والشافي.

وحينما نقول ان العبد يتحقق بالاسم الالهي لانعني بذلك إنه يجوز للعبد ان يتسمى بأسماء الله سبحانه، فهذا شيء أخر يبحث في مباحث الفقه عن الجواز وعدمه.

ولو أردنا ان نقرب فكرة تحقق العبد بأسم من اسماء الله سبحانه وتعالى من دون ان يلزم الاتحاد أو الحلول نضرب هذا المثال وهو:

حينما نضع حديدة في النار حتى تحمر، فإن الحديدة اكتسبت شيئاً من

(١) نهج البلاغة ج١ ص١٣.
(٢) الاحتجاج ج١ ص٢٩٩.

النار ولو جاز لنا التعبير نقول تخلقت باخلاق النار وتحققت بالاسم المحرق من اسماء النار، لأن الحديدة سوف تحرق كل ما تلاقيه، ولكن هل هذا يعني ان النار أصبحت حديدة؟ هذا في الحلول، أو ان الحديدة أصبحت نارا؟ هذا في الاتحاد، اكيد ليس الأمر كذلك فالحديدة باقية على حالها والنار باقية على حالها، لا النار حلت في الحديدة ولا الحديدة اتحدت في النار، وكل منهما باقيا على حاله، خصوصا إذا التفتنا إلى قاعدة فلسفية وهي ان العرض لا يجوز له الانتقال من موضوعه، لأنه يبقى في آن ما بلا موضوع فيلزم انقلابه إلى جوهر، فالحرارة التي هي عرض من اعراض النار لايمكن لها ان تنتقل من النار وتحل في الحديدة.

نرجع إلى محل البحث وهو ان الحق جل علاه يصبح مشاعر وجوارح العبد، وما يهمنا من الحديث هو ان يكون الله عز اسمه مشاعر العبد وحواسه الذي هو مورد بحثنا، فإذا أصبح الله تعالى مشاعر العبد فتنفتح على عوالم الوجود وتشهد الملك والملكوت فتسمع بعد الوقرة وتبصر بعد العشوة، كما عبر إمام الموحدين عليه أفضل صلوات المصلين، وهذا المقام يسمى على السنة الحكماء وأهل المعرفة هو مقام قرب النوافل.

وإلى هذا المقام وصل حارثة حيث قال للنبي ﷺ عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واضمأت هواجري وكأني انظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني اسمع عواء أهل النار في النار، فقال له النبي ﷺ عبد نور الله قلبه ابصرت فاثبت[1].

❊ ❊ ❊

(١) الكافي ج٢ ص٥٤.

مقام قرب الفرائض

تكلمنا فيما سبق بمرتبة من مراتب الإدراك وهي مرتبة قرب النوافل التي يكون فيها العبد يدرك بالله سبحانه وتعالى وذكرنا الرواية التي قلنا عنها أنها مشهورة في مصادر الفريقين، اعيد ذكرها هنا من أجل ان نتكلم فيها بما يخص هذا البحث الذي نحن بصدده:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله ما تحبب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وانه ليتحبب إلي بالنافلة حتى احبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، إذا دعاني اجبته، وإذا سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في موت مؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته[1].

حتى يصل العبد إلى مقام الاحسان والرؤية لابد ان يكون محبوبا لله سبحانه كما ذكرنا والمحبوبية تحصل من خلال اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الحب فيه مرتبتان مرتبة حب ومرتبة أشدا حبا، فالرواية تذكر ماتحبب العبد لله بشيء أحب إليه من الفرائض، فتحبب العبد إلى الله بالفرائض يجعل الله سبحانه أشد حبا له، وهذا مايستفاد من قوله تعالى: (بشيء أحب إلي مما افترضته عليه) فأحب افعل تفضيل يشترك مع حبه للعبد حينما يأتي بالنوافل، ولكن يزيد عليه، فالفرائض هي أحب إلى الله من النوافل.

(١) المحاسن ج١ ص٢٩١.

أما لماذا الفرائض هي أحب إلى الله دون النوافل والحال ان النافل يأتي بها العبد طوعا دون الزام من الشارع، والفريضه يأتي بها العبد ملزم لايحق له تركها؟

قلت ان الله سبحانه لما كان هو المبين للعبد طريق الوصول إليه سبحانه، فهو الذي يعلم أي الأعمال توصل إليه وأي الأعمال لا توصل إليه، وأي الأعمال تمنع من الوصول إليه وأي الأعمال لا تمنع من الوصول إليه، فما كان موصلاً إليه حتما أوجبه على العبد، وما كان يساعد في طريق الوصول ولكنه لوحده لا يوصل جعله نفلا، وما كان من الأعمال ما يمنع العبد من الوصول حرمه عليه، وما كان منها لا يمنع ولكن يساعد في المنع جعله مكروهاً، وما كان متساوي لا يمنع ولا يوصل كان مباحاً.

فاذا تبين ان ما أوجبه الله على العبد وما حرمه عليه هو الذي يوصل العبد إذا اتى بالواجب واجتنب المحرم، كانت الفرائض موصلة والنافلة ليست موصله ولكنها تساعد في الوصول، فتكون الفريضة محبوبة أكثر لله لانها هي التي توصل إلى الغاية، فإذا التزم العبد بالفرائض يحصل على محبة أشد من الله، وقد يتهاون العبد بالفريضة ولكنه يأتي بها، ويهتم بالنافلة ويتعاهدها أكثر مما يتعاهد الفريضة، فيحصل على قرب النوافل ولا يحصل على قرب الفرائض.

والأمر الاخر في هذه الرواية الذي لابد من تسليط الضوء عليه هو قوله تعالى في الحديث (ما تحبب إلي ـ وقوله ـ وانه ليتحبب إلي) فالحديث يذكر ان التحبب والتقرب هو إلى الله تعالى، لا إنه من أجل الثواب أو العقاب، فإن الذي يأتي بالفرائض والنوافل من أجل الثواب فالله سبحانه يعطيه أجزل الثواب ويضاعفه له أضعافا كثيرة، ومن يعمل خوفا من العقاب فيؤمنه الله سبحانه من عقابه ولايمسه سوء.

ولكن لاهذا ولا هذا يحصل على ذلك المقام الرفيع، لأن عبادتهم رغبة ورهبة كما ورد عن مولى الموحدين عليه السلام قال:

ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار(١).

فالذي يريد الدنيا يعطيه الله منها وماله في الأخرة من نصيب، ومن أراد الأخرة اجزل له الثواب وأعطاه جنات تجري من تحتها الانهار، ولكن كليهما لايحصلان على الحق جل علاه، فإنه ورد عن أبي عبد الله عليه السلام يقول قال الله تعالى: أنا خير شريك، من اشرك معي غيري في عمل لم اقبله الاما كان لي خالصا(٢).

وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال الدنيا حرام على أهل الأخرة، والأخرة حرام على أهل الدنيا، وهما معا حرامان على أهل الله(٣).

فالحديث يقول تحبب إلي يعني العمل لابد ان يكون له سبحانه، لذا نرى ان كثير من الناس يلتزمون بالفرائض وبالنوافل ولكن مع ذلك لايكون الله مشاعرهم وجوارحهم، لأن عبادتهم أما رغبة أو رهبة وكلاهما يكون الله فيهما وسيلة لتحقيق غرض العبد، يعني الله لا يكون مطلوبا للعبد بل الجنة هي التي تكون مطلوبة أو الهرب من النار، وهو إنما يعبد الله من أجل ان يقوم الله له بتنفيذ غرضه، ولو كان غرضه يتحقق من دون طاعة الله لما ركع لله ركعة واحدة، يعني لو قال الله له اعمل ماشئت بدنياك والجنة مضمونة لك في الأخرة، فهل يكون من أهل الطاعة أو من أهل المعصية؟؟

(١) نهج البلاغة ج٤ ص٥٣.
(٢) المحاسن ج١ ص٢٥٢.
(٣) عوالي الئالي ج٤ ص١١٩.

ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت يارسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة إلا أكون عبدا شكورا[١].

فمنطق أم المؤمنين هو لاحاجة لك بالعبادة مادام الله قد غفر لك ماتقدم وما تأخر من الذنب، فإذا كان هذا حال أم المؤمنين فكيف بالمؤمنين اذن؟؟

ولذلك نعرف لماذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٢].

بلا شك هم قليل، فكم من الناس يعبد الله لا لشيء سواء؟؟

فهل من يعمل خالصا لله يتصور إنه إذا عمل لله لا يحصل على شيء؟ بل إنه يريد جنة وحور وقصور وغلمان ونعيم فلابد ان يقصد ذلك، لننظر في مقطوعة لسيد الشهداء عليه السلام في دعاء يوم عرفة حتى نعرف ان الإمام الحسين عليه السلام لماذا قدم كل هذه التضحيات والاضاحي وأعطى كل شيء في كربلاء، لنتمعن بعظمة الحسين ليس كشهيد بل كولي فإن في الله، عارف لعظمة الله جل جلاله، يقول:

انت الذي اشرقت الأنوار في قلوب اوليائك حتى عرفوك ووحدوك، وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجأوا إلى غيرك، انت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوالم، وانت الذي هديتهم حيث استبانة لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من

(١) الكافي ج٢ ص٩٥.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلا، ولقد خسر من بغى عنك حولا، كيف يرجى سواك وانت ماقطعت الاحسان، وكيف يطلب غيرك وانت مابدلت عادة الامتنان، يامن اذاق احبائه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أوليائه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين[١].

فهل يقال بعد هذا الكلام كلام؟! أم إنه يقال ان المثل المعروف كل الصيد في جوف الفرى هو ابلغ من كلام الإمام؟! ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك؟ هكذا يعبر سلام الله عليه،الذي يعبده لاجله هو، يحصل على كل شيء، فإذا تحقق هذا الشرط ماذا يحصل للعبد؟

هنا يحصل فناء للعبد ولا يرى في الوجود سواه، يرى كل شيء هو تجل من تجلياته واشراقة من اشراقاته ولمعة من لمعاته، : ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[٢] فهل العبد يملك نفسه حتى يملك شيئاً وراء نفسه؟!

هذه مقطوعة أخرى من دعاء سيد الشهداء في دعاء يوم عرفة يقول عليه السلام:

انت الذي لا إله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك من شيء، وانت الذي تعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل شيء وانت الظاهر لكل شيء، يامن استوى برحمانيته فصار العرش غيبا في ذاته، محقت الاثار بالاثار، ومحوت الاغيار بمحيطات افلاك الأنوار يا من احتجب في سردقات عرشه عن ان تدركه الابصار[٣].

(١) بحار الأنوار ج٩٥ ص٢٢٦.
(٢) مريم، الآية: ٩٣.
(٣) بحار الأنوار ج٩٥ ص٢٢٧.

هذا هو عين الفناء في كلام الإمام صلوات الله وسلامه عليه إذا كان الإمام يرى الله ظاهرا في كل شيء ونفس الإمام شيء من الأشياء فهو ظاهر كذلك فيه، وإذا كان هناك محق للاثار ومحو للاغيار، اذن لايكون في الدار غيره ديار، فهذا ثالث مراتب الفناء وهو الفناء الذاتي بعد الفناء الأفعالي والفناء الصفاتي، فأذا فنى العبد أصبح وجوده وجودا حقانيا الهيا، عندها يكون هو مشاعر الحق وجوارح الحق، فنفهم عندئذ معنى الأحاديث الواردة عنهم صلوات الله وسلامه عليهم، من قبيل هذا الحديث:

عن اسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءا من غير ان يسئل: نحن حجة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده[١].

وعن محمد ابن مسلم يقول: سمعت أبي عبد الله عليه السلام يقول: ان لله عز وجل خلقا خلقهم من نوره ورحمته، فهم عين الله الناظرة، واذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بأذنه، وأمناؤه على ما انزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو الله السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحي ميتا ويميت حيا، وبهم يبتلي خلقه، وبهم يقضي في خلقه، قلت جعلت فداك من هؤلاء؟ قال الاوصياء[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله، وجنب الله، ويد الله[٣].

والروايات والزيارات في هذا المضمون متكاثرة، وأما من القرآن

(١) بصائر الدرجات ص٨١.
(٢) الإمامة والتبصرة ابن بابويه القمي ص١٣٢.
(٣) التوحيد للصدوق ص١٦٤.

الكريم فقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[٢].

فلم يكن الرسول هو الرامي ولا ان اليد التي بويعت هي يد الرسول بل كانت يد الله، لأن وجود النبي ﷺ وجودا الهيا حقانيا، ولا يتوهم ان في ذلك حلول أو اتحاد فانا قد بينا ذلك مفصلا في بحث قرب النوافل وتبين لنا ان التخلق والتحقق شيء والحلول والاتحاد شيء اخر.

يبقى ان نبين الفرق بين مقام ان يكون الله عز اسمه مشاعر وجوارح العبد وبين ان يكون العبد مشاعر وجوارح الله تبارك وتعالى فنقول:

لابد ان نلتفت أولاً إلى ان كل ما سوى الله سبحانه وتعالى له حد محدود، على خلاف في الصادر الأول هل هو محدود كذلك أو ليس بمحدود؟ فإن الذي قال بمحدوديته يقول بما إنه مخلوق فهو محدود ولو لم يكن كذلك لم يكن هناك فرق بينه وبين الخالق، فالخالق فقط هو المطلق، ومن قال بعدم محدوديته يقول لأنه ظل الله وظل الله وظل اللامحدود لايكون محدودا، وأما إنه لافرق بينه وبين الله فاجابوا عنه بأن اللاتناهي ليس بمرتبة واحدة فهناك اللاتناهي في الشدة والعدة والمدة فهو فوق مالايتناهي بما لايتناهي شدة وعدة ومدة، وهو سبحانه فوق اللا تناهي، فلا مشكلة في ان يكون الصادر الأول لامتناهيا، بغض النظر عن هذا الخلاف فإن كل مادونه بالنسبة إليه فهو محدود ذاتا، وكل الكمالات التي له تكون كذلك محدودة، فتكون جوارحه ومشاعره محدودة كذلك، فحينما يكون الله سبحانه مشاعر

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

العبد وجوارحه فالعبد باق على انيته ومحتفظ بها وليس له فناء بعد، فتكون مشاعره وجوارحه وان كانت هي الهية ولكنها محدودة، لأن موضوعها وهو العبد محدود، فلا يعقل ان تكون الكمالات الثانوية كصفات العبد وقواه لامتناهية ونفس العبد متناه، اذن تكون العين محدودة والاذن محدودة واليد محدودة وهكذا، لكنها تختلف اختلافا جذريا عن بصر العبد وسمعه فذاك كان مادياً مقيد بالف قيد وقيد، أما حينما يكون الحق عين العبد فإن الأمر يختلف كليا، يرى ما لايراه غيره ويسمع مالايسمعه غيره وهكذا.

ولكن يبقى هذا بالنسبة إلى المقام الثاني وهو ان يكون العبد بمنزلة جارحة المولى محدودا جداً، لأن الحق جل علاه لامتناه كما قلنا، فلا يعقل ان تكون الذات لامتناهية ويكون سمعها وبصرها ويدها متناهية، ولا تقل ان العبد متناه فحينما يكون بمنزلة الجارحة للمولى لابد ان تكون تلك الجارحة محدودة.

أقول هذا غفلة عن فناء العبد وان العبد فقد انيته ومحدوديته فحينما يفنى يزول منه الحد فيكون مطلقا لامتناهيا حينها يكون مشعرا للحق أو جارحة فلا يكون محدودا بل مطلقا، فالبصر والسمع واليد وغيرها في هذا المقام لاحد لها، عند ذلك نفهم قول إمام الموحدين عليه أفضل صلوات المصلين حينما يقول (أيها الناس سلوني قبل ان تفقدوني، فلأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الأرض)[١].

ولو أردنا ان نقرب الفكرة بمثال لفقدان الانية والحد، نضرب مثالين عادة تضرب لتقريب هذه الفكرة، ولكن لابد ان ينظر إلى الجهة المقربة من المثال ولا ينظر له من جميع الجهات، فإن أي مثل يضرب لتقريب معنى من

(١) نهج البلاغة ج٢ ص١٣٠.

المعاني فإنه يقرب الفكرة من جهة، ولو نظر له من جهات أخر لبعد عن المعنى كثيراً، لذا يقال المثل يقرب من جهة ويبعد من الف جهة، أما المثال الأول:

فهو مثال قطرة الماء حينما تلقى في البحر، فإن القطر فقد ت حدها ولكنها لم تعدم، ولا يقال ان القطرة صارة بحرا لانها ليس لها انية حتى نثبت لها شيء، والملاحظ في المثال ان القطرة أصبحت جزء البحر لأن البحر قابل للتجزء، وأما مورد كلامنا فليس كذلك، لأن احدية الحق تابى عن التجزي، فهذه جهة مبعدة في المثال ينبغي ان لاتلحظ.

والمثال الاخر هو مثال نور الشمعة ونور الشمس فإذا وضعنا الشمعة في مكان مظلم فانها تنير ذلك المكان بمقدار ضوئها، ولكن حينما نضعها تحت ضوء الشمس في رابعة النهار فلا نرى لضوئها وجود، فهو لم يعدم ولكن غلب عليه قهر شدة ضوء الشمس فجعله فانيا فيه.

فحينما نقول ان العبد فنى لانقصد ان العبد عدم ولم يبق له أي وجود، كيف والعدم نقص وليس كمال، والعبد في هذا المقام نال أعلى مراتب الكمال، فهو لم يعدم وإنما فقد انيته وحده لذا يقول بعض أهل المعرفة:

بيني وبينك اني ينازعني فاخلع بلطفك انيي من البين

وفي هذه المرتبة يحصل الإنسان على مرتبة العبودية المطلقة، فيكون عبد الله سبحانه، يعني إنه فقير مطلق لا يملك شيئاً، لذا نقرء في القرأن قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[1].

انظر كيف وصف النبي ﷺ بالسميع والبصير وهما صفتان من صفات

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

الحق جل علاه، لكن لا بأس ان يكون العبد متصف بهما لأنه عبد لا يملك شيئاً فكل ما يرى عند العبد، يعلم ان هذا ليس له بل لسيده وهو غير مالك له، وورد عنه عليه أفضل الصلاة والسلام (الفقر فخري وبه افتخر على سائر الأنبياء)[١] فكلما كان الفقر اوسع دائرة كلما كان العطاء أكثر من المولى، فالذي يرى نفسه إنه محتاجا إلى الله ببعض أموره يعطيه الله على قدر حاجته، والذي يرى نفسه إنه لا يملك شيء أصلاً يعطيه الله كل شيء، لذا قال سيد الشهداء عليه السلام كما ذكرنا عنه (ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك) فالعبد لا يجد الله إلا بعد ان يتحقق بالعبودية، والقرآن الكريم حافل بذكر العبودية والعبيد والعبادة وما وضعت العبادة إلا ان تحقق العبودية، وكثيراً مايصف الله سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الأنبياء بوصف العبودية لانهم فنوا عن ذواتهم ورأوا انهم لايملكون شيء ويفتخرون بذلك ولا يستنكفون كما يقول القرآن الكريم: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾[٢].

فأحسن ما يتوسل به العبد إلى المالك المطلق هو الفقر، لانك ان أردت ان تاخذ شيء وتتوسل به إليه لابد ان لايكون عنده مثله، وهل هناك من شيء لايملكه هو، وهو المالك لكل شيء؟

فقط شيء واحد لايملكه وهو الفقر فهو أفضل مايتوسل به إلى الله، يقول سيد الشهداء عليه السلام في رائعته (ها أنا اتوسل إليك بفقري إليك، وكيف اتوسل إليك بما هو محال ان يصل إليك)[٣].

(١) عوالي الئالي ج١ ص٣٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٢.
(٣) بحار الأنوار ج٩٥ص٢٢٥.

هم سلام الله عليهم أعرف الناس به يعرفون من أي طريق يذهبون إليه وكيف يتوسلون، فالفقر إليه سبحانه هو عين الغنى، والعبودية إليه هي عين الحرية والانعتاق، فليس مقصود النبي ﷺ إنه فقير مادياً وان كان هذا مظهرا من مظاهر الفقر، بل فقره هو فقر وجودي لله سبحانه، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[1] فالفقر مختوم على جميع نواصي الخلائق وليس الناس فقط، ولكن طوبى لمن علم بفقره وعاشه بكل كيانه ووجود، وهذا هو الفضل وهو ان يستشعر ويعيش الفقر، أما إذا لم يلتفت إلى ذلك فهو يحسب نفسه إنه غير محتاج إلى الله ولكن الحقيقة ليس كما تصور، فهذه الآية تريد ان تنبه الناس إلى فقرهم حتى يلتفتوا ويكونوا عبيد الله سبحانه.

وبهذا يتضح لنا الفرق بين مقام قرب النوافل ومقام قرب الفرائض وان الثاني اكمل من الأول، وان كان كلاهما يحصل للعبد إطلاع على عالم الملكوت وتعمل مشاعره هناك، ولكن فرق بين من يرى ابعد العوالم وبين من يقتصر على بعض العوالم فقط.

وبهذا يتضح لنا مراتب الإدراك كم هي عند العبد، وملخصا ان للعبد إدراكا حسيا عن طريق الحواس الخمس، وله إدراكا خياليا بعد ان تغيب تلك المدركات عن حواسه، وهو بهاتين المرتبتين يشترك مع سائر الحيوانات، وله إدراكا عقليا للمفاهيم الكليه ومن خلالها يفكر، وهو بهذه المرتبه تبدأ أول درجات إنسانيته ويمتاز عن الحيوانات، ومرتبة أخرى تنفتح مشاعر قلبه قسراً كما في النوم أو الاحتضار، أو ببركة نبي أو وصي كما في سماع الصحابة لتسبيح الحصى، أو إطلاع بعض أصحاب الائمة عليهم السلام على

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

حقيقة الناس في الحج، فهذه مرتبة من الإدراك تحصل للناس ولكن لأفضل لهم بها، وهناك مرتبة الإدراك بالحق سبحانه يعني ان الحق يصبح بصر العبد وسمعه وقواه، وهي مرتبة قرب النوافل وبها ترتفع إنسانية الإنسان إلى أعلى درجاتها، ورتبة ان يكون عين الحق وسمعه وهي أعلى المراتب جميعا ولكن لاتبقى لإنسانيته انية حتى نقول أنها أعلى مراتب الإنسانية، بل هي أعلى مراتب الكمال التي يستطيع العبد ان يصل إليها، وهي مرتبة العبودية يعني مرتبة الفقر المطلق وعدم امتلاك أي شيء، فعندها يجد الحق ويكون مالكا كل شيء بالله، ويكون مثل الله يقول للشيء كن فيكون كما في الحديث القدسي عبدي اطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون.

❊ ❊ ❊

نوع آخر من الإدراك

تحدثنا فيما سبق عن الإدراك من خلال الحواس الباطنية الملكوتية واتضح لنا ان هناك حواس خمس وراء هذه الحواس الظاهرية تدرك موجودات وارء العالم المادي الذي عبرنا عنه بعالم المثال الذي تحتوي حقائقه على عوارض المادة من الشكل والوضع والهيئة وغير ذلك ولكن لاتحتوي على المادة والقوى التي تدرك تلك الموجودات لابد ان لاتكون من هذا العالم المادي لانها تريد ان تدرك أمراً غير مادي ولابد من المسانخة بين المدرك ـ بالكسر ـ وبين المدرك ـ بالفتح ـ كما ذكرنا فيما سبق وقلنا أيضاً ان الأمر في حواسنا المادية كذلك، فإن العين تدرك الالوان والاشكال ولاتدرك الأصوات والروائح والاذن تدرك الأصوات لاتدرك الالون والطعوم وهكذا فلا بد من التوافق والانسجام بين القوة المدركة والأمر المدرك لذا قلنا ان موجودات عالم البرزخ والمثال تحتاج إلى قوى مسانخة لها من عالمها حتى تكون مدركة لها.

ونحن قلنا فيما سبق إنه على المشهور بين الحكماء ان عالم الإمكان يتكون من ثلاثة عوالم، عالم المادة وعالم المثال وعالم العقول المجردة وقلنا ان عالم المادة فيه المادة وعوارض المادة وان عالم المثال فيه عوارض المادة دون نفس المادة وان عالم العقل لاتوجد فيه مادة ولا عوارض المادة، فعالم المادة القوى التي تدركه هو هذه الحواس الظاهرية وعالم المثال القوى المدركة له هي تلك الحواس الباطنية المثالية.

يبقى عندنا عالم العقول الذي موجوداته مجردة عن المادة وعوارض المادة ليس فيه هيئة ولا مقدار ولا لون ولا شكل بأي قوى يستطيع الإنسان ان يدرك عالم العقل؟ وما بعد عالم العقل الذي هو العالم الربوبي من الاعيان الثابتة والاسماء والصفات وما ورائها من الواحدية والاحدية؟

اذا عرفنا ان الإنسان نسخة مصغرة لذلك العالم الكبير وان العالم بجميع مراتبه انطوى بهذه النسخة التي تمثل مقام الخلافة الالهية يمكننا من خلال معرفة مراتب الإنسان ان نعرف باي قوة يدرك عالما من تلك العوالم، ولا يخفى ان مقصودنا من إدراك تلك العوالم ليس هو إدراكا حصوليا بمعنى نعرف تلك العوالم من خلال الصور الحاصلة في اذهاننا لانا في مرتبة العاقلة للنفس الإنسانية يستطيع الإنسان ان ينظم العالم من اعلاه إلى ادناه في سلسلة الصور والعلم الحصولي حتى يكون عالما عقليا مضاهيا للعالم العيني كما يقال في الحكمة.

ليس هذا هو مرادنا فانا نعلم بالعلم الحصولي ان هناك عالم مثال وفيه موجودات مجردة عن المادة ولكن لم نراها بقوانا الملكوتية وإنما نعلم بها علما حصوليا وقليل من الأفراد من تفتحت قواهم الملكوتية وشاهدوا عياناً بعض تلك الموجودات، وكذلك نعلم ان هناك موجودات في عالم العقل وقام البرهان لاثبات وجودها ولكن لم نشاهدها بعلمنا الحظوري وكذلك قامت الادلة والبراهين لاثبات وجود الحق تعالى ونجزم بالقطع واليقين إنه موجود ولكن كم منا راى الحق تعالى؟

اذا الكلام ليس هو في العلم الحصولي وأنا نعلم بتلك العوالم أو لانعلم وإنما الكلام هو في طور آخر من الإدراك.

ذكرنا في بحث حقيقة الإنسان ان جوهر الإنسانية وحقيقتها هو الاداك ولكن ليس هو الإدراك الحسي أو الخيالي لأن هاتين المرتبتين متحققتان عند غير الإنسان كذلك كما قلنا، فاول مرتبة تضع الإنسانية قدمها في اعتابها هي مرتبة الإدراك العقلي فإن مرتبة الإدراك العقلي لاتوجد في الحيوان يعني إدراك الكليات، ولكن مع ان مرتبة الإدراك العقلي درجاتها لاحصر لها وتختلف أفراد النوع الإنساني بدرجات هذه المرتبة العقلية مع ذلك نقول هي مرتبة أولى للإنسانية وهناك مراتب إدراكية فوق هذه المرتبة تجعل من الإنسان يصل إلى اقصى نقطة يمكن للإنسانية ان تصل إليها، فإنه ورد في روايات كثيرة في ذلك:

منها هذه عن ابن سنان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾[١] قال أبو عبد الله عليه السلام أول من سبق إلى بلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك كان اقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما اسري به إلى السماء تقدم يا محمد فقد وطئت موطأ لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولولا ان روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه فكان من الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٢] أي بل ادنى[٣].

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وصل إلى مالم يصله أحد وهذا الوصول ليس مكانيا طبعا لأن الله هو خالق المكان فلايعقل ان يكون في مكان، بل الوصول هو من خلال مرتبة من مراتب المعرفة ومؤكد ان الملائكة ليست عندهم تلك

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٢) سورة النجم، الآية: ٩.
(٣) مختصر بصائر الدرجات ص١٦٧.

المعرفة فانهم حينما عرضوا انفسهم لخلافة الله بين لهم قصورهم في ذلك وانهم لا يمكنهم الوصول إلى تلك المعرفة قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

اذن الإنسان فاق الملائكة التي هي اشرف الموجودات بالعلم والإدراك الذي قلنا إنه حقيقة الإنسانية وجوهرها.

الان نريد ان نعرف القوى الإدراكية التي هي وراء الحواس الملكوتية المثالية وكيف تدرك تلك العوالم، وان كان مر علينا كيف ان العبد يدرك بالله تارة، وان الله يدرك بالعبد أخرى.

في الواقع ان المدرك لكل العوالم هو القلب ولكن قد يكون المدرك ـ بالفتح ـ له هيئة وشكل وصورة أو يمكن ان يتمثل ويظهر بصورة وشكل فيدركه القلب من خلال تلك الحواس الباطنية وان لم يكن كذلك فيدركه بمراتب أخرى له لذا قسموا الكشف إلى كشف صوري والى كشف معنوي والكشف الصوري يقسم إلى الحواس الخمسة التي بحثنا عنها تفصيلاً، أما البحث عن الكشف المعنوي فهو إدراك للحقائق التي ليس لها هيئة وشكل من قبيل عالم العقل والعالم الربوبي ورؤية الله سبحانه وتعالى.

فلو القينا نظرة عما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانية لرأينا إنه عليه السلام يطلب من الله تعالى انارة ابصار القلوب، قال سلام الله عليه:

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١ ـ ٣٣.

الهي هب لي كمال الانقطاع إليك وانر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك.

في هذا المقطع من كلام مولى الموحدين يشير إلى بصر القلب، وانه يحتاج إلى ضياء لكي يرى، كما هو الحال في البصر الحسي، فإن الرؤية لا تتحقق في الظلام، فلا ينتفع بالبصر مالم يكن هناك ضياء، والضياء للقلب إنما يحصل في الانقطاع وفي كمال الانقطاع إلى الله عز وجل، فما دام هناك تعلق بغيره سبحانه فلا يتشرف العبد بالنظر إلى الحق عز اسمه، فإنه كما ورد ان الله غيور: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[1] وكما يقول الشاعر:

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع

فبالانقطاع إليه سبحانه تشرق أنواره على القلب، فتنفتح مشاعره وتقوى، فيخرق بصر القلب جمع الحجب النورانية فضلا عن الظلمانية، فيصل إلى معدن العظمة والكبرياء، فتتعلق الأرواح بعز قدسه جل جلاله، قد ينض القلب حجاب الظلمة المادية والطبيعية ويطلع على عالم الملكوت والجبروت، وهي من عوالم النور التي لا ظلمة فيه، ولكن هذه العوالم وهي عوالم النور تحجب عن رؤية الحق ولوصول إلى معدن العظمة، ومولى الموحدين يطلب أكثر من رؤية العوالم النورية، بل هو يطلب خرق تلك العوالم، لأن البقاء فيها والنظر إليها هو ليس من كمال الانقطاع، فمتى ما حصل للعبد كمال الانقطاع إلى الحق جل علاه، عند ذلك تخرق حجب

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

النور فتصل ابصار القلوب إلى معدن العظمة، فتتعلق الأرواح بعز قدسه سبحانه.

يعني تارة يحصل للعبد انقطاع عن هذا العالم المادي، وبهذا الانقطاع تنفتح مدارك القلب فيطلع على ماوراء هذا العالم، ويشاهد علم الملكوت والجبروت، ولكن هذه العوالم هي من مخاوقات الله والوقوف عندها وقوف عند غير الله فيكون حجابا، أما إذا حصل للعبد كمال الانقطاع إليه سبحانه وهو يحصل عند فناء العبد وهو مقام قرب الفرائض كما بينا عند ذلك يكتحل نظر القلب مشاهدة أنوار قدسه ويصل إلى معدن العظمة وتصير الأرواح معلقة بعز قدسه، وحتى في مرتبة الفناء والإدراك بالحق عز اسمه ليس هو على نحو واحد بل درجات رؤية الحق سبحانه لامتناهية لأنه غير متناهى قد يحصل العبد على بعض منها ويمنع عن بعض أخر لأنه فوق طاقته واستعداده فإن الكليم على نبينا واله وعليه السلام طلب درجة عالية من الرؤية القلبية لم يكن مهيئا لها عندما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] فموسى عليه السلام كانت لديه بعض درجات رؤية الحق، كيف لا وهو الكليم، ولكن قلنا ان الدرجات لامتناهية وهو طلب أعلى مماعنده ولكن انائه الوجودي لايستوعب أكثر من ذلك، أما النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم فوصل إلى مقام لم يطأه أحد قبله ولابعده، وكذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لذعلب ما كنت اعبد ربا لم اره، وهذه الدرجة من إدراك القلب لا تحصل للعبد إلا بالفناء كما ذكرنا ذلك فيما سبق، فيكون الحق هو المشاهد لنفسه

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ويكون هو الشاهد والمشهود، ولكن قلنا المراتب والدرجات في شهود الحق مختلفة، بين الأنبياء والرسل فضلا عن غيرهم، لذا يقول سبحانه ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[١].

فالتفضيل والتقديم لبعض الرسل على بعض ليس اعتباطيا وعشوائياً بل حسب مراتبهم في معرفة الله سبحانه، لذا صدر الآية بقوله وربك اعلم بمن في السموات والأرض، يعني التفضيل يكون على أساس علمه سبحانه بمراتبهم ودرجاتهم.

قد يتصور البعض ان الفناء عندما يحصل لعبد، يكون فنائه كفناء الأنبياء صلوات الله عليهم، ليس الأمر كذلك فهم حائزون على أعلى مراتب المعرفة وان كان فيما بينهم متفاضلون، نعم النبي ﷺ وأهل بيته هم اكمل وأفضل الخلق، وهذه الأفضلية للنبي ﷺ بسبب درجته في شهود الحق ومعرفته التي لم يصل إليها أحد وأما أهل بيته صلوات الله عليهم فهم ورثته لهذا المقام.

فتبين لنا ان القلب كما يمكنه ان يدرك عوالم الملكوت يمكنه ان يدرك ما وراء هذه العوالم، وهو إدراك خالق وموجد تلك العوالم، لذا ورد ان قلب المؤمن عرش الرحمن، وورد في الحديث القدسي: لم يسعني سمائي وأرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن[٢].

فمركز المعرفة الحضورية بكل درجاتها هو القلب، فهو الذي يدرك الحق عز اسمه فما دونه، ولكن حسب سعة القلب، والقلب قد يضيق ولا

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.
(٢) البحار ج٥٥ ص٣٩.

يدرك إلا ما في هذا العالم المادي فقط، وقد تتفتح حواسه فيدرك الملكوت، وقد تشتد فيدرك عالم الجبروت، وكلاهما من عوالم النور كما قلنا، وقد يخرقها بصر القلب بكمال انقطاعه ويصل إلى معدن العظمة، وهناك أيضاً إدراكه حسب درجته، ولا يحيطون به علما.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

١ ــ كلام العلماء في الإدراكات الملكوتية.

٢ ــ نقل بعض صور الإدراكات.

* * *

كلام بعض العلماء في الإدراكات الملكوتية

نذكر هنا جملة من أقوال العلماء في الكشف والإطلاع على الملكوت من الخاصة والعامة والكل يتفق على ان هذا الإطلاع ليس هو بهذه الحواس الظاهرية بل بالحواس الباطنية واهم وسيلة لتفعيل تلك الحواس وأعمالها حتى ترى مدركات ذلك العالم هي قطع التعلق بالعالم المادي واشاحة الوجه إلى تلك العوالم فتتنور حواسه بنور الله تعالى ويصبح له نوراً يمشي به في الناس ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

كلام الملا محمد صالح البرغاني القزويني

انه رأى رسول الله ﷺ في المنام وسأله عدة اسألة احدها ماهو السبب في ان العلماء في السابق كانوا أصحاب كرامات ومكاشفات وفي هذا الزمان سد باب المكاشفات؟

فاجابه ﷺ السبب ان العلماء في الماضي قسموا الأحكام إلى قسمين واجب وحرام وكانوا يتركون الحرام وياتون بالواجب وكل ما كان مكروها أو مباحا كانوا يعتبرونه من المحرمات أي كانوا عمليا يتركون والمكروهات وياتون بالمستحبات ويعتبرونها من الواجبات، ولكنكم طبقة المتأخرين قسمتم الأحكام عمليا إلى خمسة أقسام وتتركون المستحبات

وتفعلون المكروهات والمباحات ولهذا سدت دونكم أبواب الكرامات والمكاشفات[١].

كلام المازندراني

يذكر المازندراني في شرحه لأصول الكافي في شرح قول الصادق عليه السلام (اللهم اجعلني اخشاك) قال طلب الخشية يستلزم طلب كمال العلوم والمعرفة كما قال تعالى شأنه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ ولذلك قال (كأني اراك طلبا لتوفيق الوصول إلى مقام المشاهدة وهو مقام رفيع لايبلغه إلا خاص الخواص كالأنبياء والاوصياء والأولياء وغيرهم ممن اخذت باعه العناية الازلية وهذا المقام ان يبلغ العبد في أعماله وافكاره بحيث يستغرق في بحار المكاشفة كانه يرى الله كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (جعلت قرة عيني في الصلاة) وقال أمير المؤمنين عليه السلام (ما عبدت إلها لم أره) حيث سأل هل رأيت ربك؟ وليس المراد بهذه الرؤية رؤية البصر بل المراد بها رؤية البصيرة التي لا تكشف عن حقيقتها العبارة[٢].

كلام صاحب تفسير الامثل في تفسير كلام الله المنزل

ينبغي الالتفات إلى ان الرؤية الباطنية على نحوين رؤية عقلانية وتحصل عن طريق الاستدلال وأخرى رؤية قلبية وهي إدراك فوق إدراك العقل ورؤية وراء رؤيته، هذا المقام لاينبغى ان يدعى بمقام الاستدلال بل هو المشاهدة، مشاهدة قلبية باطنية وهذا المقام يحصل لاولياء الله على درجاتهم المتفاوتة وسلسلة مراتبهم، لأن الرؤية الباطنية هي على مراتب

(١) سيماء الصالحين ص ٩٢.
(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني ج١٠ ص٤٥٠.

أيضاً ولها درجات كثيرة وبالطبع فإن إدراك حقيقتها لمن لم يبلغ ذلك المقام في غاية الصعوبة[١].

كلام صدر المتألهين الشيرازي

يذكر في مفاتيح الغيب تحت عنوان أنواع المكاشفة على الاجمال يقول:

اعلم ان الكشف كما اشير إليه قسمان صوري ومعنوي واعني بالصوري ما يحصل له في عالم المثال من طريق الحواس الخمسة يظهر منه ان للنفس في ذاتها سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا، فلمكاشفة الصورة تكون عن طريق المشاهدة البصرية كرؤية المكاشف صور الأرواح المتجسدة والأنوار الروحانية وأما ان يكون عن طريق السماع ..... أو على سبيل الاستنشاق وهو تنسم النفحات الالهية ..... أو على سبيل الملامسة وهي الاتصال بين النورين أو بين الجسدين المثاليين .... أو على طريق الذوق كمن يشاهد أنواعا من الاطعمة فإذا ذاق منها أو اكل اطلع على معاني غيبية[٢].

كلام الشيخ حسن زاده آملي

ينقل في عيون مسائل النفس عن الفتوحات المكية قال:

فاما حديث الصوامت فهو عند العامة من علماء الرسوم حديث حال أي يفهم منه حالة كذا وكذا، حتى لو نطق لنطق بما فهمه هذا الفاهم منه قالت الأرض للوتد لم تشقني؟ قال الوتد لها سلي من يدقني، فهذا عندهم

(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١٧ ص٢١٧.
(٢) مفاتيح الغيب لصدر المتالهين ج١ ص ٢٢٥.

حديث حال وعليه خرجوا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ وأما عند أهل الكشف فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان يسمعه المقيد باذنه في عالم الحس لا في عالم الخيال كما يسمع المتكلم من الناس والصوت من أصحاب الصوت فما عندنا في الوجود من صامت أصلاً بل الكل ناطق بالثناء على الله[١].

ويقول أيضاً (دام ظله) اعلم ان الإدراك حقيقة مشككة ذات مراتب في الشدة والضعف ولكل مرتبة من مراتبه اسم خاص وشرائط خاصة لحصولها، مثلاً إدراك زيد تصوراً جزئياً مرتبة منه إدراكه بالبصر ويسمى رؤية ومرتية منه إدراكه بالخيال ويسمى تخيلا ومرتبة منه إدراكه بالعين المثالية في المنام ويسمى رؤيا ومرتبة إدراكه بالعين المثالية بالكشف الصوري في عالم المثال ويسمى كشفا صوريا وشهودا، والكل إدراك النفس الإنسانية لشخص زيد بحيث لا يمكن لأحد ان يقول ان زيداً بشخصه غير مدرك في مرتبة من المراتب، والتفاضل بين تلك الإدراكات بديهي وجداني، فإن إدراك الخيال اضعف أنواع الإدراك واقواها الإدراك بالرؤية والإدراك شهودا بالعين المثالي، وكما يسمى الإدراك البصري رؤية يسمى الادرا الكشفي رؤية كما لا يخفى[٢].

كلام الشيخ السبحاني

يقول في الالهيات هناك ثلة قليلة يشاهدون بعيون القلوب مالايدرك بالابصار فيرون جماله وجلاله وصفاته وأفعاله بإدراك قلبي يدرك لأصحابه ولا يوصف لغيرهم، والفتوحات الباطنية من المكاشفات والمشاهدات

(١) عيون مسائل النفس حسن زاده ص٤٩٣.
(٢) نفس المصدر ص٥٤٩.

الروحية والالقاءات في الر وع غير مسدود بنص الكتاب العزيز[١].

كلام ابن خلدون

في مقدمته في الفصل السابع عشر في علم التصوف يقول:

ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف الحجاب والحس والإطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها، والروح من تلك، العوالم وسبب هذا الكشف ان الروح إذا رجع في الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشؤه اعيان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولايزال في نمو وتزيد إلى ان يصير شهودها بعد ان كان علما ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس التي لها من ذاتها وهوعين الإدراك[٢].

كلام السيد حيدر الآملي

وهو من أصحاب الكشف والشهود باتفاق أصحاب الفن يقول في الفرق بين مشاهدت البصر والبصيرة والقلب والعين ان أهل المعرفة يقولون ان البصر وان كان من شأنه الرؤية الظاهرة لأنه خلق لاجلها لكن رؤيته موقوفة على نور أخر غير نوره لتحصل له الرؤية بواسطته مثل نور التجلي أو الالهام أو نور الوحي أو نور الكشف المعبر عن هذه الأنوار بنور الله وهذا هو المعني في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ وفيه قال: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾[٣] وقال: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٖ﴾[٤] ومعلوم ان المراد

(١) الالهيات للسبحاني ص٩٣.
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٣.
(٣) سورة النور ٣٥.
(٤) سورة النور ٤٠.

بالبصر العين الحسية والمراد بالبصيرة العين الباطنة القلبية فحينئذ كما ان البصر إذا لم تحصل له الأنوار المذكورة لايتمكن من مشاهدة شيء في عالم الشهادة والحس فكذلك البصيرة إذا لم تحصل لها الأنوار المذكورة لا تتمكن من مشاهدة شيء في عالم الغيب والعقول فرياضة ارباب السلوك ومجاهداتهم وحبس النفس الامارة عن مشتهياتها وترك التعلقات الدنوية باسرها كل ذلك لاجل رفع الموانع عنها ولتحصيل تلك الأنوار لتحصل لهم بذلك مشاهدة عالم الملكوت ومطالعة عالم الجبروت[١].

كلام المستشرق اسين بلاثيوس

وهو مستشرق اسباني يقول ان الكرامات تصنف على أساس اعضاء الجسم التي هي آلآت للفضائل يقول كرامات البصر وهي مكافئة عن الفضائل التي آلتها البصر والى هذا الباب تنسب كل الظواهر الخارقة الخاصة بالبصر الفيزيائي والمشاهدة الروحية ومثالها البصر على مدى بعيد أو من خلال وسط معتم ورؤية حقائق العالم الروحاني السماوي والأرضي على السواء اعني الملائكة والأولياء ورؤية مافي الفكر البعيد بل وما في داخل قلب الشخص القريب أو منقوشا على ثوبه أو على عضوا من اعضائه أو في قلب من هو موضوع الكرامة والتوسم في علامات الشخص وحركاته وأفعاله واشاراته لحال ضميره الحاضر ومصيره الروحي في المستقبل ورؤية الله تحت مختلف الحجب التي تحجب جوهره.

وكرامات السمع وهي مكافئه عن قهر اهواء السمع بالفرار من فرص ارتكاب المعاصي بالسمع وبممارسة أعمال التعبد التي آلتها السمع والى

(١) جامع الأسرار ص٥٧٩.

هذا الباب تنسب كرامات الكلام النفسي الذي به يؤكد صوت الله للنفس أنها تسير في طرق النجاة والى هذه المجموعة تنسب الكرمات التالية سمع لغة الكائنات غير الحية.

وكرامات النطق وهي ثواب فضائل اللسان وتنسب إلى هذه المجموعة كرامة الكلام مباشرة مع الملائكة. . . . إلى أخر كلامه[١].

أقول هذا بحسب تحليل هذا المستشرق لهذه الكرامات وإلا فإن طاعة الجوارح فقط وعدم عصيانها لاتوجب لصاحبها هذه المقامات التي تذكر بل الأمر فوق ذلك بكثير.

كلام الدكتور علي شيرواني

في كتابه الاسس النظرية للتجربة الدينية يتحقق الكشف الصوري في عالم المثال عن طريق الحواس الخمسة فالسالك في سيره العرفاني أول حجاب يخترقه ويقصيه إنما هو حجاب المادة لتبدو إمامه الحقائق الأولى التي تنكشف له بازاء هذا الحجاب إلا وهي الحقائق المثالية والبرزخية ويقع الخيال في الرؤية العرفانية في مرتبة تتوسط كلا من عالم المادة وعالم التجرد المحض وهو لذلك يغدو مجلى ومرآة تنعكس فيه بعض اوصاف هذا وذاك فهو فاقد للمادة بيد إنه يحمل في احشائه المقدار واللون والشكل وبعض الخصائص الأخرى التي تتصف بها المادة ولهذا السبب كان للحقائق الموجودة في عالم المثال صوراً ومن ثم عبر عن الكشف المتعلق بهذا العالم بالكشف الصوري، على صعيد أخر تشاد علاقتنا وإطلاعنا على الحقائق الصورية في عالم المثال عن طريق الحواس الخمس تماماً كما هي

(١) اسين بلاثيوس ابن عربي ص١٩٨ ـ ١٩٩بتصرف.

علاقتنا بظواهر عالم المادة تتم بمجملها من هذا الطريق أيضاً وفي الحقيقة ثمت مراتب للحواس الخمسة الإنسانية تتعلق مرتبة منها بعالم المادة فيما تتصل مر تبة أخرى بعالم المثال وترقى الثالثة لتعانق مرتب العقل وتتحقق في الوجود الجمعي الوحداني[١].

كلام الحكيم السبزواري

يقول الكشف بالقسمة الأولية قسمان صوري ومعنوي والصوري مايحصل بطريق الحواس الخمس وينقسم الصوري قسمة ثانية بحسب المحسوسات الخمسة فما يكون بطريق الابصار كرؤية المكاشف صور الأرواح عند تمثلها ومايكون بطريق السماع كسماع النبي ﷺ كلمات فصيحة بليغة ومنه مايسمى نقرا في الاسماع الحاصل للمكاشفين ومنها مايكون بطريق الشم كالتنشق بالنفحات الالهية كما قال النبي ﷺ (ان لله في أيام دهركم نفحات إلا فتعرضوا لها) وقال ﷺ (اني اجد نفس الرحمن من قبل اليمن) وما يكون بطريق الذوق كقوله ﷺ (ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني) ومايكون بطريق اللمس كقوله ﷺ (وضع الله تعالى كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي) وهذه المكاشفات قد ينفرد وقد تجتمع[٢].

كلام الشيخ المطهري

في معرض اثبات السوك العرفاني من النصوص الدينية وانه ليس فكر دخيل بل هو من صميم الدين يقول:

يكفي في السير والسلوك وطي المراحل للتقرب إلى الله حتى أخر

(١) الاسس النظرية للتجربة الدينية د علي شيرواني ص٢٠٧.
(٢) شرح دعاء الصباح للسبزواري ص ١٠٨.

منزل ان نلقي نظرة على بعض الآيات في لقاء الله ورضوان الله والوحي والالهام ومكالمة الملائكة ولاسيما مع غير الأنبياء كمريم عليها السلام وآيات معراج الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاء في القرآن الحديث عن النفس الامارة والنفس اللوامة والنفس المطمئنة وعن العلم الافاضي واللعلم اللدني وعن الهداية نتيجة المجاهدة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1] وعن تركية النفس بعنوان أنها طريق الفلاح الوحيد ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[2] وعن الحب الالهي وانه فوق كل حب وعن تسبيح ذرات العالم بعبارة يفهم منها إنكم أيها الناس ان اكملتم تفقهكم ادركتم ذلك التسبيح[3].

❊ ❊ ❊

(١) سورة العنكبوت ٦٩.
(٢) الشمس ٩ ـ ١٠.
(٣) الإسلام وايران مطهري ص١٩٤.

نقل بعض صور الإدراكات

في أخر المطاف اود ان اعرض بعض الإدراكات التي حصلت لبعض الأفراد الذين عكفوا على تربية انفسهم حتى تفتحت قواهم ومداركهم الملكوتية واطلعـــوا على ما لم يطلع عليه غيرهم وفتحت بصائرهم واسماع قلوبهم لرؤية وسماع الملكوتيين حتى يتبين ان هذا الأمر ليس هو فقط ممكن بل هو واقع أيضاً لأهل الهمم العالية والنفوس الكبيرة الذين تعبت ابدانهم مما ترومه نفوسهم والذي ينكر هذا إنما ينكر ذلك بسبب عجزه عن نيل تلك المراتب وإلا العقل والدين والتجربة كلها تقول الطريق سالك والمشارع مفتوحه وان الراحل قريب المسافة، فالذي انقله هوانموذج وغيض من فيض مما ذكر ونقل من هذه الحوادث.

مشاهدة تجسم الأعمال

ذكر الشيخ عباس القمي في منازل الأخرة حكاية عن العارف الكامل القاضي سعيد القمي رحمه الله إنه قال وصل إلينا من أحد الثقاة ومحل الاعتماد عن استاذ اساتيذنا الشيخ بهاء الملة والدين العاملي قد إنه ذهب في أحد الأيام لزيارة بعض ا صحاب الحال وكان ياوي في مقبرة من مقابر اصفهان وقال ذلك الشخص العارف للشيخ شاهدت قبل هذا اليوم في هذه المقبرة أمراً غريباً فقد رايت جماعة جاؤوا بجنازة ودفنوها في هذه المقبرة في الموضع الفلاني وبعد مضي ساعة شممت رائحة طيبة لم تكن من روائح هذه النشأة فبقيت متحيراً فنظرت إلى يميني وشمالي لأعرف من اين جائت

هذه الرائحة فرأيت فجأة شابا جميل الصورة في لباس الملوك وهو يذهب إلى ذلك القبر حتى وصل عنده فتعجبت كثيراً من مجيئه إلى ذلك القبر فعندما جلس عند ذلك القبر رأيته قد غاب وكانه صار داخل القبر فلم يمض زمن من تلك الحادثة حتى شممت رائحة كريهة انتن من كل رائحة فنظرت فرأيت كلبا يذهب باثر ذلك الشاب حتى وصل إلى ذلك القبر واختفى فتعجبت من ذلك وما كاد تعجبي ينقضي حتى خرج ذلك الشاب بحالة سيئة وهيئة قبيحة وبدن مجروح وقد رجع من حيث اتى فذهبت وراءه ورجوته ان يخبرني بحقيقة الأمر فقال أنا العمل الصالح لهذا الميت وكنت مأموراً ان أصير معه في قبره فإذا بذلك الكلب الذي رأيته اتى وهو عمله غير الصالح فأردت ان أخرجه من القبر لأفي بصحبته فعضني ذلك الكلب بانيابه وجرحني ومزق لحيتي كما ترى ولم يتركني ابقى مع ذلك الشاب فلم اقدر بعد ذلك ان ابقى معه في قبره فخرجت وتركته لوحده.

فعندما نقل العارف المكاشف هذه الحكاية للشيخ قال الشيخ ما قلته صحيح فنحن قائلون بتجسم الأعمال وتصورها بالصور المناسبه بحسب الأحوال.

ثم يقول المؤلف ويصدق هذه الحكاية الخبر الذي رواه الصدوق في أول أماليه وملخصه ان قيس بن عاصم وفد مع جماعة من بني تميم إلى النبي ﷺ وطلب منه موعظة فوعظه ﷺ ومن جملة ما قال . . . لابد لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وانت ميت فإن كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لايحشر إلا معك ولاتبعث الامعه ولاتسال إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإن صلح آنست به وان فسد فلا تستوحش إلا منه وهو فعلك[1].

(١) منازل الأخرة ص١٧٤.

ولا يخفى ان في هذه الحادثة رؤية ملكوتية وسماع وشم فإن أول شيء حدث لهذا العارف شمه لرائحة العمل الصالح وعلم إنه ليس من روائح هذه الدنيا واخذ يبحث عن مصدره حتى وجده وكذا شمه لرائحة العمل الطالح وهو نتن جداً وكانت هذه الرائحة لصورة ذلك العمل المتجسد على هيئة شاب حسن المنظر وثم شم رائحة الكلب وهي رائحة كريهة وثم لحق بذلك الشاب وتكلم معه فحصلت رؤية وسماع وشم في هذه الحادثة.

رؤية الشيطان

ويذكرصاحب فيض القدير ان أبا سعيد الحراز قال رأيت إبليس فأخذ عني ناحية فقلت تعال، ايش اعمل بكم؟ لزمتم الذكر وطرحتم مااخادع به، قلت ماهو؟ قال الدنيا، فولى عني ثم التفت وقال بقي لي فيكم لطيفة، قلت ماهي؟ قال السماع وصحبة الاحداث[١].

وكذا يذكر حادثة أخرى عن الغزالي قال أهل المكاشفة من ارباب القلوب يتمثل لهم الشيطان بمثال في اليقضة فيراه الواحد منهم بعينه ويسمع كلامه ويقوم ذلك بمقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام للصالحين وإنما المكاشف في اليقضة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في ا لنوم فيرى في اليقضة مايراه النائم كما روي عن ابن عبد العزيز ان رجل سأل ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب الآدمي يرى في النوم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه والشيطان بصورة ضفدع قاعدا على منكبه الايسر له خرطوم طويل ادخله في منكبه إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهد في

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٢ ص٤٤٩.

اليقضة وقد رآه بعض المكاشفين بصورة كلب جاثم على جيفة يدعوا الناس إليها[١].

ويذكر صاحب سيماء الصالحين ان الحاج إمام قلي ننجواني الذي كان استاذ المرحوم السيد حسين القاضي والد المرحوم السيد على القاضي وطوى كل مراحل الكمال في الاخلاقيات والعلوم الهية عن المرحوم السيد قريش القزويني يقول:

بعد ان بلغت سن الشيخوخة رأيت الشيطان وكنا واقفين معا على جبل فوضعت يدي على لحيتي وقلت له لقد بلغت سن الشيخوخة فإذا كان بالإمكان ان تدعني قال الشيطان انظر إلى هذا الجانب وعندما نظرت رأيت وادياً عميقا جداً ومن شدت الخوف منه يفقد الإنسان صوابه ويطير لبه، قال الشيطان ليس في قلبي رحمة ومروءة وعطف أبداً وإذا قدر ووقعت في قبضتي فسيكون مكانك قعر هذا الوادي الذي تراه[٢].

العلم بالموت ورؤية النور

وذكر أيضاً صاحب المتاب المذكور عن رسالة لب اللباب للعلامة الطباطبائي كان المرحوم السيد علي القاضي يقول: قال المرحوم السيد أحمد الكربلائي التقيت في سفر بدرويش نير الضمير فقال لي أنا مأمور ان اطلعك على شيئين الكيمياء والثاني اني غدا اموت فجهزني وادفني، فقال له السيد أما أنا فلا حاجة لي إلى الكيماء وأما تجهيزك فانا مستعد وفي اليوم التالي توفي ذلك الدرويش فقام السيد المرحوم بتجهيزه وتكفينه ودفنه.

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٢ ص٤٤٩.
(٢) سيماء الصالحين ص١٠٠.

ونقل عن صاحب الترجمة أيضاً إنه قال ذات يوم كنت نائما في مكان ما فايقضني شخص قائلا إذا كنت تريد ان ترى نور الاسفهبديه فانهض، وعندما فتحت عيني رأيت نوراً لا يتناهى ملئ مشرق الدنيا ومغربها[١].

رؤية العلامة الطباطبائي

ويذكر أيضاً ان السيد علي القاضي كان له حجرة في مسجد الكوفة وحجرة في مسجد السهلة وكان يقضي فيها اليالي وحيداً وكان يوصي تلامذته باحياء بعض الليالي بالعبادة في مسجد الكوفة أو السهلة وكان قد اوصى إنه إذا كنتم في الصلاة أو قراءة القرآن أو في حال الذكر والفكر فرايتم صورة جميلة أو أشياء أخرى من عالم الغيب فلا تهتموا وتابعوا عملكم، ويقول العلامة (قدس سره) ذات يوم كنت جالسا في مسجد الكوفة مشتغلا بالذكر فرأيت حورية من الجنة جائت عن يميني وفي يدها كاس من شراب الجنة جائت به إلي وهي تحاول اثارة اهتمامي بها وبمجرد ان أردت الالتفات إليها تذكرت كلام الاستاذ فاغمضت عيني ولم اهتم، قامت تلك الحورية وجائت عن شمالي وقدمت لي ذلك الكأس فلم اهتم أيضاً وصرفت وجهي فتالمت تلك الحورية وأنا إلى الان كلما تذكرت ذلك المشهد اتاثر لتألمها[٢].

سماع النداء

ويذكر أيضاً صاحب الكتاب المذكور عن العارف ملكي تبريزي في بعض كتبه يقول لا تكن كافرا بهذه الأخبار واني اشهد الله اني أعرف من

(١) سيماء الصالحين ص٦٥.
(٢) نفس المصدر ص٦٩.

المتهجدين من كان يسمع من يوقضه ويناديه وقت تهجده فيقوم لورده[١].

مشاهدت الملائكة

ينقل صاحب فيض القدير عن ان ابن عربي يقول كان بمكة رجل من أهل الكشف يسمى ابن الاسعد من أصحاب شيخنا أبي مدين فكان يشاهد الملائكة يطوفون مع الناس فنظرهم يوماً تركوا الطواف وخرجوا سراعا حتى لم يبقى منهم أحد وإذا بالجمال باجراسها دخلت المسجد بالراوية تسقي الناس فلما خرجوا رجعوا[٢].

سماع الأحجار تسبح

ذكر الشيخ حسن زاده آملي في عيون مسائل النفس نقلا عن ابن عربي في الفتوحات قال فإن المسمى بالجماد والنبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراك غير أهل الكشف اياها في العادة فلا يحس بها مثل ما يحسها من الحيوان فالكل عن أهل الكشف حيوان ناطق بل حي ناطق غير ان هذا المزاج الخاص يسمى إنساناً لا غير ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد راينا الأحجار رؤية عين تذكر الله بلسان نطق تسمعه آذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كل إنسان[٣].

أقول ان الإنسان في الأخرة يسمع ذلك ويشاهده كما يذكر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[٤] فكل شيء ينطق

(١) نفس المصدر ص٥٨.
(٢) فيض القديرشرح الجامع الصغير ج٦ص٥٠٩.
(٣) عيون مسائل النفس حسن زادة آملي ص٧٦٩.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٢١.

ويسبح كما يقول الحق: ﴿فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[١]

فهناك من يفقه هذا التسبيح ويسمع ذلك الكلام في الدنيا وان كان سائر الناس يسمعون ذلك في الأخرة.

رؤية تجسم العمل

يذكر الشيخ حسن زاده آملي في عيون مسائل النفس إنه حصل له تمثل وكشف مراة عديدة يقول وقد اقبل لهذا الآمل رحمة ربه الكريم نحو هذا التمثل مرات عديدة منها إنه قد راى رجلا كالضبع فتبين ان الرجل كان آكل الربا. على إنه قد رأى غير واحد من السلاك إلى الله قد اقبل لهم نحو هذا الكشف من أحوال الأشخاص وملكاتهم على صور بهيئة حسنة أو قبيحة على وفق تلك الملكات وكان بعض هؤلاء السلاك من مشايخه وبعضهم من تلاميذه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٢].

سماع الموتى

وفي المنحة الوهبية يذكرعن عثمان النهدي ان ابن ساسب خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف فانتهى إلى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت فوالله ان قلبي ليقضان إذ سمعت صوتا من القبر إليك عني لا تؤذيني فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ولأن يكون لي مثل ركعتين أحب إلي من كذا وكذا[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) عيون مسائل النفس حسن زاده ص٩٣٣.

(٣) المنحة الوهبية في رد الوهابية للطحطاوي ص٨.

سماع الحيوانات وحديث النفس

ويذكر صاحب طبقات الشافعية عن كرامات ابن القزويني إنه سمع الشاة تذكر الله تعالى تقول لا إله إلا الله وكان جالسا في منزله يتوضأ لصلاة العصر فقال لأهل داره لا تخرج هذه الشاة غدا إلى الرعي، فأصبحت ميتة.

وقال أبو محمد الدهان اللغوي كنت ممن يقرأ على ابن القزويني فقلت يوماً في نفسي أريد ان أسأله من أي شي يأكل؟ وأسأله ان يطعمني منه، فلما جلست بين يديه قرأت ثم هممت ان أسأله فلحقني هيبة عظيمة له فنهضت، فأمرني بالجلوس فجلست، إلى ان فرغ من الاقراء، ثم قال بسم الله فقمت معه فأدخلني داره وأخرج إلي رغيفين سميذا وبينهما عدس ورغيفين ويبنهما تمر وقال كل، فمن هذا ناكل[1].

❊ ❊ ❊

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج٥ ص١٧١.

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ نهج البلاغة الشريف الرضي تحقيق محمد عبده.
٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي.
٤ ـ التعريفات للجرجاني.
٥ ـ تفسير الميزان العلامة محمد حسين الطباطبائي.
٦ ـ تفسير القرآن السيد مصطفى الخميني.
٧ ـ التفسير الاصفى للفيض الكاشاني.
٨ ـ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٩ ـ الكافي محمد بن يعقوب الكليني.
١٠ ـ بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار.
١١ ـ الاحتجاج الشيخ أحمد بن علي الطبرسي.
١٢ ـ بحار الأنوار الشيخ محمد باقر المجلسي.
١٣ ـ معاني الأخبار الشيخ الصدوق.
١٤ ـ الأمالي الشيخ الصدوق.
١٥ ـ الأمالي الشيخ الطوسي.
١٦ ـ الأمالي الشيخ المفيد.
١٧ ـ كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق.
١٨ ـ التوحيد الشيخ الصدوق.
١٩ ـ الدعوات قطب الدين الراوندي.
٢٠ ـ روضة الواعضين الفتال النيسابوري.

٢١ ـ عوالي الئالي ابن أبي جمهور الاحسائي.
٢٢ ـ اقبال الأعمال السيد ابن طاووس.
٢٣ ـ وسائل الشيعة الحر العاملي.
٢٤ ـ مستدرك الوسائل الميرزا حسين النوري.
٢٥ ـ الخرائج والجرائح قطب الدين الراوندي.
٢٦ ـ شرح أصول الكافي مولى محمد صالح المازندراني.
٢٧ ـ الغارات إبراهيم بن محمد الثقفي.
٢٨ ـ مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب.
٢٩ ـ المناقب الموفق الخوارزمي.
٣٠ ـ نوادر المعجزات محمد بن جرير الطبري الشيعي.
٣١ ـ علل الشرائع الشيخ الصدوق.
٣٢ ـ الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام.
٣٣ ـ المحاسن أحمد بن محمد بن خالد البرقي.
٣٤ ـ الإمامة والتبصر ابن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق.
٣٥ ـ مختصر بصائر الدرجات الحسن بن سليمان الحلي.
٣٦ ـ منازل الأخرة والمطالب الفأخرة الشيخ عباس القمي.
٣٧ ـ الالهيات الشيخ جعفر السبحاني.
٣٨ ـ نهاية الحكمة محمد حسين الطباطبائي.
٣٩ ـ الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة صدر الدين الشيرازي.
٤٠ ـ جامع الأسرار ومنبع الأنوار السيد حيدر الآملي.
٤١ ـ مفاتيح الغيب صدر الدين الشيرازي.
٤٢ ـ شرح فصوص الحكم محمد بن داوود القيصري.
٤٣ ـ ابن عربي اسين بلاثيوس.
٤٤ ـ الاسس النظرية للتجربة الدينية د. علي الشيرواني.
٤٥ ـ شرح دعاء الصباح ملا هادي السبزواري.

٤٦ ـ سيماء الصالحين
٤٧ ـ مفصل الإنسان روح لاجسد د. رؤوف عبيد.
٤٨ ـ ظواهر الخروج من الجسد د. رؤوف عبيد.
٤٩ ـ حروب العقل رونالد م. ماكري ترجمة سمير محمد.
٥٠ ـ عيون مسائل النفس حسن حسن زادة آملي.
٥١ ـ مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون.
٥٢ ـ كنز العمال المتقي الهندي.
٥٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني.
٥٤ ـ صحيح مسلم مسلم بن الحجاج النيسابوري.
٥٥ ـ سنن أبي داود الحافظ أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني.
٥٦ ـ المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري.
٥٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي.
٥٨ ـ الطبقات الكبرى ابن سعد.
٥٩ ـ المنحة الوهبية في رد الوهابية أحمد الطحطاوي.
٦٠ ـ فيض القديرشرح الجامع الصغير محمد بن عبد الرؤوف المناوي.
٦١ ـ الحاوي للفتاوي جلال الدين السيوطي.
٦٢ ـ تاج العروس الزبيدي.

❊ ❊ ❊

فهرست الموضوعات

المقدمة ٧

الفصل الأول

كلام في الاحساس والأدراك ١٣
علم ما وراء النفس ١٧
مؤيدات منامية ٣٩
حقيقة الإنسان ٥١
الحواس الباطنة ٥٥
معنى القلب ٥٩

الفصل الثاني

عالم الملكوت ٦٧
تجسم الأعمال ٧٣
ظهور وتمثل الحقائق ٨٣
يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا ٩١
الرؤية القلبية القسرية ٩٥
اخطاء الحواس الباطنة ١٠٣

الفصل الثالث

العين الملكوتية في الآيات القرأنية ١١٣
العين الملكوتية في الروايات ١٢٥
السماع الملكوتي في الآيات ١٣٥
السماع الملكوتي في الروايات ١٤١
كلام في باقي الحواس ١٥١

الفصل الرابع

كلام في معنى الوحي وأقسامه ١٥٩

مراتب الإدراك الملكوتي ١٦٧
مقام قرب النوافل ١٧٥
مقام قرب الفرائض ١٨١
نوع آخر من الإدراك ١٩٣

الخاتمة

كلام بعض العلماء في الإدراكات الملكوتية ٢٠٣
كلام الملا محمد صالح البرغاني القزويني ٢٠٣
كلام المازندراني ٢٠٤
كلام صاحب تفسير الامثل في تفسير كلام الله المنزل ٢٠٤
كلام صدر المتألهين الشيرازي ٢٠٥
كلام الشيخ حسن زاده آملي ٢٠٥
كلام الشيخ السبحاني ٢٠٦
كلام ابن خلدون ٢٠٧
كلام السيد حيدر الآملي ٢٠٧
كلام المستشرق اسين بلاثيوس ٢٠٨
كلام الدكتور علي شيرواني ٢٠٩
كلام الحكيم السبزواري ٢١٠
كلام الشيخ المطهري ٢١٠
نقل بعض صور الإدراكات ٢١٣
مشاهدة تجسم الأعمال ٢١٣
رؤية الشيطان ٢١٥
العلم بالموت ورؤية النور ٢١٦
رؤية العلامة الطباطبائي ٢١٧
سماع النداء ٢١٧
مشاهدت الملائكة ٢١٨
سماع الأحجار تسبح ٢١٨
رؤية تجسم العمل ٢١٩
سماع الموتى ٢١٩
سماع الحيوانات وحديث النفس ٢٢٠
مصادر البحث ٢٢١
فهرست الموضوعات ٢٢٥